١١

الهجرة إلى الحبشة

﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ﴾

[سورة الأعراف]

﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥ ﴾

[سورة الأعراف]

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا ﴾

[سورة الأعراف]

﴿ وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ﴾

[سورة الأعراف]

«مكــة، وقريش ضاربة فى فســادها.. ماضية علــى عادتهــا.. تفــرض وصايتها علــى البيت العتيق.. ينظر المسلمون إلى أحوال الكفار فلا يرون منهــا إلاّ عجبًا.. يتهاترون تهاترات عجيبة فى القداســة التى فهموها بكفرهم للأصنام المرصوصة فى البيت العتيق، لا يطوفون بالبيت إلا عراة عدا الحُمْس (قريش وما ولدت).. يتأولون ذلك بأنهم لا يطوفون فــى ثياب عصــوا الله فيهــا.. حتى إن ضُباعــة بنت عامر بن قُــرط، كانت تطـوف بالبيــت وهــى عريانــة ولا تدارى شــيئًا.. بــل وتتغنــى بذلك.. ربما طاف بعضهم بثياب معارة مــن الحمس (قريش).. ولكــن أكثريتهم يطوفون عــراة، جريًا فى هذه البدعة وراء مــا كان يفعلــه آباؤهم وأجدادهم.. لا يجدون للأجســاد حرمة، ولا فى العرى ما يخجل.. ويحسبون هذا الفحش عبادة.. وما أســهــل أن يتأولــوا ويتقولوا.. وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها!!!.. ينكر المســلمون عليهــم ذلك، وينكره عليهم القرآن المجيد.. يســتحيى المســلمون فى إلمامهــم بالبيت المحرم، من هذا الفحش والعرى الذى تتأذى منه عيونهم!!».

«محمد صلى الله عليه وســلم، مشــغول البال بما يؤذى مشــاعر المسلمين بالبيت العتيق.. وإذ هو خال إلى نفســه يناجى ربــه، ويتعبد إليه.. يوافيه جبريل عليه السلام..»

جبريل : (يتلـو على محمـد) ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ ذَٰلِكَ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ٢٦ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٧ وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةٗ قَالُواْ وَجَدۡنَا عَلَيۡهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَاۗ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ٢٩ فَرِيقٗا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ٣٠ ۞ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣٢ قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٣٣ ﴾[سورة الأعراف: الآيات: ٢٦ – ٣٣].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. كفار قريش، وشبه الجزيرة العربية، لا يفقهون حديثًا، ولا يتورعون عن منكر.. يمعنون فى الشـرك والكفر.. أحياء مكة وما حولها تعج

بأقاصيص عجيبة عن المتنبئين الكاذبين.. منهم من يتحدث عن الإسرائيلى بلعام بن باعوراء الذى يقال إنه كان فى الزمن الغابر.. ومنهم من يذكر أمية بن أبى الصلت الذى قال فيه المصطفى عليه السلام «آمن شعره وكفر قلبه».. ومنهم من يتناول أبا عامر الفاسق الذى قيل إنه كان معاصرًا لموسى عليه السلام، أو بعده على عهد يوشع بن نون.. المسلمون لا يعنيهم من هذه الترهات شىء سوى زيادة أشواقهم إلى النور القرآنى المجيد.. يتلقفون فى شغف وشوق ما يتنزل على محمد عليه الصلاة والسلام من قصص القرآن الهادى إلى حقائق التوحيد.. وإلى ماذا كان حال وعاقبة المكذبين والمشركين..»

«محمد عليه الصلاة والسلام فى خلوته يتهجد ويتعبد ويتحنث ، يتنزل عليه الروح الأمين فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا۟ يَظْلِمُونَ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿١٧٨﴾ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾[سورة الأعراف: الآيات: ١٧٥ ـ ١٧٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. لا تزال قريش على لجاجتها واصطناعها الحيل والأباطيل والألغاز لإعنات الرسول عليه السلام.. بالأمس حين قام على الصفا يدعو إليه بطون قريش ويحذرهم بأس الله عز وجل وعقابه، عادوا يرجفون بأن به جنة، ويقول قائلوهم: «إن صاحبكم لمجنون بات يصوت حتى الصباح».. فى هؤلاء المستهزئين نزل قوله سبحانه: ﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ ۗ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٨٤﴾ ﴾ [الأعراف /١٨٤].. بيد أن قريشًا وأشياعها من الكفار لا يستحون ولا يهدأون.. يتبعون شياطينهم..».

«صحن الكعبة، محمد عليه السلام منتح جانبًا يذكر ربه ويتلو القرآن.. يقترب منه بعض المشركين.. يبتدرونه..».

مشرك : يا محمد..

(النبى يلتفت إليهم..)

المشرك : (مستأنفًا) ألست تقول إنك نبى؟!

محمد : بلى.

مشرك آخر : ألست تزعم أنه يأتيك الخبر من السماء؟!

المشرك الأول : (مستكملاً) فأخبرنا إذن متى تكون الساعة إن كنت نبيًا كما تقول!

قرشى : (يتداخل فى سخرية يحاول إخفاءها).. إن بيننا وبينك قرابة، فأسرّ إلينا متى تكون الساعة !

محمد : (فى اقتضاب) علمها عند ربى.

المشرك الثانى : فسل لنا ربك متى تكون الساعة..

«يقهقه المشركون وينصرفون هازئين!».

* * *

«محمد فى خلوته يناجى ربه، فيوافيه جبريل عليه السلام، فيوحى إليه من آيات ربه..

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ

يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآيات: ١٨٧- ١٨٨].
(يرتفع الوحى)

* * *

«محمد صلى الله عليه وسلم فى خلوته، يستعرض حال الكفار وصبر المسلمين الذين ضاق صدر بعضهم من أفاعيل الكفار ونكالهم.. تطوف به صور متلاحقة من صد الكفار وعنادهم، ومن عسفهم وأذاهم.. يلم به جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا۟ ۖ وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف ١٩٨].

«يتمهل جبريل، ينظر إليه محمد عليه الصلاة والسلام مستطلعًا..».

جبريل : (مستأنفًا) ﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ ﴾[سورة الأعراف: الآيات: ١٩٩ - ٢٠١].

«محمد صلى الله عليه وسلم ينظر إلى جبريل مستوضحًا..».

جبريل : يا محمد.. جئتك بمكارم الأخلاق.. إن الله تعالى يأمرك أن تعفو عمن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك..

«ينظر محمد مليًا بعين قريرة.. يرتفع الوحى».

* * *

«مكــة، وقد صار نزول القــرآن على محمد ـ الشــغل الشــاغل لطواغيت قريش.. يعجبون لما فيــه، ويعجبون لأثره الهائــل الذى يتغلغل فى قلوب النــاس.. يتنادون فى الناس «لا تســمعوا لهــذا القرآن والغــوا فيه لعلكم تغلبــون».. على قدر ضيق الكفار بالقرآن، كانت حفاوة المســلمين وأشــواقهم إليه.. ربما دفعهم العشــق والاحتفال بالقــرآن إلى الإســراع بترديــده والرســول يتلوه فيهم.. إذا قرأ صلى الله عليه وســلم شيئًا، قرأوا معــه.. وربما ارتفع صــوت بعضهم فى صلاتهم وهــم يرددون خلــف النبى ما يتلــوه فى صلاته بهم.. وربما صرفهم ذلك عن حســن الاســتماع والإصغاء والمراعاة..».

«محمد صلى الله عليه وسلم فى خلوته يتعبد ويتهجد ويتحنث، يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلــو علــى محمــد) ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَـٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ [سورة الأعراف: الآيات: ٢٠٤ ـ ٢٠٦].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكـــة وقد بلـــغ تضييـــق رؤوس قريش على المســـلمين كل مبلـــغ.. لم يعد لديهـــم فى قوس الصبر منزع.. لا يقدر محمد صلى الله عليه وسلم علـــى حمايتهم من طغيـــان قريش.. ولا يملك أن يدفع عنهم ماهم فيه من بلاء..».

«محمد عليه الســـلام جالس إليه بعض أصحابه فى دار الأرقم .. فيهـم الزبير بن العوام، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، ومصعب بن عمير.. وآخرون.. ينظر عليه السلام إليهم حانيًا رفيقًا وقد انفطر قلبه على ما يلاقونه من هول ومن عذاب شديد فى الله.. يبادرهم صلى الله عليه وسلم فى عطف رحيم..».

محمد : (لأصحابه) تفرقوا فى الأرض..

«الصحابة ينظرون إليه مشفقين متسائلين».

محمد : (مستأنفًا) فسيجمعكم الله تعالى.

بعضهم : إلى أين نذهب يارسول الله؟!

محمد : لو خرجتم إلى أرض الحبشة.

أحدهم : (مرددًا فى دهشة!) الحبشة؟!

محمد : (يســـتأنف موضحًا) فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد، وهى أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجًا مما أنتم فيه ..

«يقبـــل الصحابـــة على النبى مستفســـرين ، ويحـــادث بعضهم بعضًـــا فيما عســـاهم يدبرونه للإفلات من قريش بهذه الهجـــرة.. يمضى بهم الحديث حتى ينصرفوا على موعد للقاء..».

* * *

«بعد أيام وقد تسرب الخبر ثم شاع حتى صار حديث مكة.. قريش ترقب عن بعد ولا تتداخل، صادف ذلك هواها.. بهذه الهجرة ينزاح عن صدرها كابوس ثقيل ما فتئ يشغلها ويضغط عليها ويقض مضاجعها، ويملأ بِالَهم أيامها ولياليها.. يتسرب إلى عبد الله بن سهيل بن عمرو أن أخته سهلة فى سبيلها إلى الهجرة مع زوجها أبى حذيفة بن عتبة بن ربيعة.. يزمع أمره على زيارتها..».

«دار حذيفة بن عتبة بن ربيعة.. يدخل عبد الله بن سهيل، فيلحظ أن أخته تستقبله هاشة باشة بأكثر مما اعتادت.. لا يفصح لها عما تناهى إليه، حتى إذا ما تهيأ للانصراف وأراد أن يقَبِّلها مودعًا، هاله أن ترتد جافلةً..».

عبد الله بن سهيل : (متعجبًا وهو يعود إلى مكانه جالسًا) ما بالك يا أختاه؟!..

«سهلة تتردد واجفة، لا تدرى ما تقول..».

عبد الله : (لأخته) إن أمرك لعجيب اليوم يا سهلة!

«لا تجيب»

(مستأنفًا مفاجئًا) أليس قد أزمعتم الهجرة من غد!

سهلة بنت سهيل : (وقد أخذها روع المفاجأة) أى هجرة؟!

عبد الله : (وقد أغرق فى الضحك) ما رأيت كاليوم فتاة غرة تريد أن تمكر بأخيها.

سهلة : (مرددة فى شبه تسليم) تمكر بأخيها؟!

عبد الله : بلـــى، إن هجرتكـــم مع أصحاب محمد إلى الحبشـــة لم تعد سرًّا، وهى حديث الناس والملأ من قريش.

سهلة : (فى اقتضاب) أرض الله واسعة.

عبد الله : لو شاءت قريش لأخذت عليكم طرق هجرتكم..

سهلة : وماذا يضيرها أن نهاجر؟!

عبد الله : قـد ظننت وزوجك أن قريشًـا عنكمـا غافلـة – هيهات!.. إن عتبة بن ربيعة ليعلم من أمـر ابنه.. زوجك أبى حذيفة.. مثلما يعلم أبوك سهيل وأخوك عبد الله من أمرك.. وإن قريشًا لتعلم من أمركما مثلما نعلم ويعلم عتبة وابنه الوليد..

سهلة : (واجفة) فما يمنع قريشًا عنّا؟!

عبد الله : لا تريد قريش أن تحبسك وزوجك لأن لها فى أبويكما وأخويكما أربًـا!.. بيد أنـى وأبـاك لا نحب لك وزوجـك ما تحتملانه من مشـقة وعناء، وما تلجآن إليه من تستر واستخفاء.. ولولا أن تقول قريش: ضعف سهيل فلم يطق على فراق ابنته صبرًا لجاءك معى ولما كنت الآن وحدى!

سهلة : (وقد ثابت وتماســكت) ألم تر يــا أخى أنك منذ دخلت علىّ إنما تتحدث بما شئت وتكاد لا تريد ردًّا ولا جوابًا؟!
(تستأنف متشجعة) أجل، جفلت منك، (مبتسمة) لأنك مشرك، وما أحب مس المشركين!

عبد الله : (مدهوشًا) أوقد بلغ بكم حب محمد والصدوع له هذا المبلغ؟!

سهلة : (وقد زالت ابتســامتها واكتســى وجهها جدًا صارمًا) لو كنت قد لقيت محمدًا وسمعت منه ما سمعناه، ورأيت ما رأيناه، لعلمت لماذا نحب الله ورسوله أكثر مما نحب آباءنا وأمهاتنا وإخواننا.. (مستأنفة) ولولا أن محمدًا هو الذى حثنا على

الهجرة إلى الحبشة لما تركناه ولآثرنا العذاب والموت قريبًا منه..

عبد الله : (وقد أطرق مفكرًا) هو ذاك إذن! محمد أحب إليكم من آبائكم وأمهاتكم وإخوانكم، وأحب إليكم من أنفسكم؟!

«يستمر عبد الله فى إطراقه يفكر.. يدخل أبو حذيفة فيرى عبدالله مطرقًا غارقًا فى التفكير، وزوجه سهلة قائمة تنظر إلى أخيها فى حزم وترقب..».

أبوحذيفة : (لزوجته وهو ينظر إلى صهره عبد الله) هل تنبئيننى يا سهلة بأن الله قد أنزل السكينة على قلب أخيك؟

عبد الله : (يردد كمن يفيق) السكينة!

أبو حذيفة : (متشجعًا) نزلت السكينة على قلوبنا لأن محمدًا نقاها من الغىّ وجلاَّها من الضلال، وملأها أمنًا ورضًا وثقة وأملاً منذ اهتدينا بمحمد، لم تعرف قلوبنا خوفًا ولا قنوطًا.. (يتلو فى خشوع) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾﴾[يونس ٧، ٨]

«عبد الله تأخذه رعدة عنيفة ويتفصد عرقًا».

أبوحذيفة : (ماضيًا فى التلاوة) ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّٰهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾[يونس ٩، ١٠]

«عبد الله بن سهيل يثوب إلى حالة غامرة من

السلام.. ينظر إلى أبى حذيفة مبتسمًا».

عبد الله : ويحــك يــا أبا حذيفة! إنــى أحس كأن ســكينتكما قد غمرتنى تسعى إلى قلبى..

(مســتأنفًا) أذاهب أنت بى أبا حذيفة إلى محمد لأتلقاها منه؟

«أبو حذيفة، وقد تغشته فرحة غامرة، يأخذ صهــره عبد الله بن ســهيل وينصرفــان ميممين شطـر محمـد صلى الله عليه وسلم..».

* * *

«بعد أيــام.. بأحـد أزقـة مكــة.. عامر بـن ربيعـة، حليـف آل الخطاب، وقد تهيأ للخروج إلى الحبشة، يتفقـد زوجـه ليلى بنت أبى حَثْمة القرشــية العدويــة.. تلحــق به علــى بعيرها.. يبادرها..».

عامر بن ربيعة : (لزوجه ليلى) ما الذى أخرك، يرحمك الله؟!

ليلى بنت أبى حثمة : عمر بن الخطاب!

عامر : (قلقًا) ما خطبه؟! أتعرض لك؟!

ليلى : بادرنى حين رآنى: – إلى أين يا أم عبد الله؟

عامر : (مشفقًا) لا أخالك ذكرت له!

ليلى : قلت له لقد آذيتمونا فى ديننا، فنذهب إلى أرض الله حيث لا نؤذى!

«يبدو القلق على عامر..».

عامر : (قلقًا) هل آذاك؟

ليلى : أتدرى ما قال ؟ قال صحبكم الله ! ثم ذهب !.. (مستأنفة) ما عهدته كذلك؟

عامر : ترجين أن يسلم؟!!!

ليلى : (نافيةً) والله لا يسلم حتى يسلم حمار ابن الخطاب..

«يمضيان برواحلهم وزادهم إلى خارج مكة..».

* * *

«بخارج مكة.. بقعة وراء كثيب.. اتخذها الصحابة نقطة يتجمعون عندها لبداية ترحالهم إلى الحبشة.. وراء الكثيب وقد ناخت رواحل المهاجرين.. على رأسهم عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت محمد المصطفى وفيهم الزبير بن العوام، ومصعب بن عمير، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو حذيفة بن عتبة وزوجه سهلة بنت سهيل بن عمرو، وعثمان بن مظعون.. يتوافد المسلمون إلى مكان التجمع مستترين متسللين.. نفوسهم مشتتة بين مفارقة البطش والجبروت والعذاب، وبين الحب الكبير الذى خلفوه وراءهم وتركوا قلوبهم معه.. لولا أنه صلى الله عليه وسلم ألح عليهم فى الهجرة، ما خرجوا ولا هاجروا.. ما إن اكتمل عددهم حتى ساروا تحت جنح الليل قاصدين البحر ليجتازوا من هناك إلى أرض المهجر...».

* * *

«محمد صلى الله عليه وسلم وسط الباقين بمكة من صحابته.. فيهم أبو بكر، وعلى.. تأتيه الأخبار بأن المهاجرين مضوا موفقين - منهم الراكب ومنهم الماشى - حتى أتوا «الشعيبة».. ميناء مكة على البحر الأحمر.. فوفقوا إلى سفينتين لتجار..جازتا بهم عباب البحر إلى الحبشة.. تقر عين الرسول ـ صلى الله عليه وسلم - ولكن قلبه يظل معلقًا مشدودًا إلى صحابته المهاجرين هناك على الشاطئ الآخر من البحر!».

* * *

١٢

إخفاق الكافرين بالحبشة

﴿ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * ﴾

[سورة مريم]

﴿ طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ * ﴾

[سورة طه]

«مكــة، وقد أتت قريشًــا أخبــار المهاجرين بالحبشة بعد أن وصلتها هجرة ثانية زاد عددهم فيها على الثمانين.. توافد رؤوس قريش إلى منتداهم بظاهر الكعبــة.. يتعجبون مما تناهى إليهم من أن المســلمين لاقوا فى الحبشة النصرانية، ولدى النجاشى النصرانى، أحسن جوار..».

قرشى : (بحقــد) عجبًــا لأمرهـم؟!.. لقــد أمنــوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأصابوا بها دارًا وقرارًا!

آخر : الغريــب أن ملكها النصرانى تركهم ومــا يريدون.. بلغنى أنهــم علــى عبادتهم هناك لا يؤذيهم أحد، ولا يســمعون شيئا يكرهونه..

ثالث : مــا أرى إلا أن نرســل إلى النجاشــى رجلــين جليدين من رجالنا ليحرضاه عليهم ويكشــفا أمرهم عساه أن يخرجهم من دياره.

رابع : عليكــم بعبد الله بن أبى ربيعة وعمــرو بن العاص.. فهما لها!

القرشى الأول : فما سبيلهما إليه؟!

القرشى الرابع : اجمعوا الهدايا له ولبطارقته..

القرشى الثالث : (مصادقًا) اهدوه كل مســتطرف من متاع مكة .. (مستأنفًا) اجمعــوا له ما اســتطعتم مــن الأَدَم، ولا تتركــوا أحدًا من بطارقة النجاشى حتى تهدوا إليه..

* * *

«الحبشــة.. عمــرو بن العــاص وعبد الله بن

أبى ربيعة، يتسقطان أخبار النجاشى وأخبار المسلمين، فيسمعان ما يغيظهما ويحنقهما.. يتوسلان بكل السبل والأحاييل للوصول إلى البطارقة قبل أن يلتقيا بالنجاشى.. يدفعان إلى كل بطريق بهديته.. ويتوددان له، ويهيئانه لكراهة المسلمين بما يبثانه إلى كل واحد منهم من مفتريات وأكاذيب..».

«عمرو وعبد الله، وقد أفلحا فى الاجتماع ببعض البطارقة.. يعرضان عليهم ما أتوا به من طرائف.. يمتد بينهم السمر والحديث حتى يطمئن إليهما البطارقة..».

عمرو بن العاص : (متشجعًا) إنه قد ضوى (أوى) إلى بلد ملككم منا غلمان سفهاء.. فارقوا دين قومهم، ولم يدخلوا فى دينكم!

عبدالله بن أبى ربيعة : (مستكملاً) لقد جاءوا بدين مبتدع.. لا نعرفه نحن ولا أنتم !

عمرو : وقد بعثنا أشراف قومنا إلى الملك ليردهم إليهم ..

عبد الله : فإذا كلمنا الملك فيهم، فأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا، ولا يكلمهم.. فإن قومهم أعلى بهم عينًا وأعلم بما عابوا عليهم..

«البطارقة يؤمّنون موافقين».

* * *

«النجاشى بمجلسه بقصره.. يستأذن عليه

عمـــرو بـــن العاص وعبـــد الله بن أبـــى ربيعة.. يدخلان تســـبقهما أحمال الهدايـــا والطرائف.. البطارقة حول النجاشـــى يهمسون إليه فيرحب بهمـــا، ويقبل هداياهمـــا.. يبادرانه وقد أحضر النجاشى من يترجم الحديث بينهم..».

عمرو وعبد الله : (متوددين محرضين) أيها الملك، إنه قد ضوى إلى بلدك منا غلمان ســـفهاء، فارقوا دين قومهـــم ولم يدخلوا فى دينك، وجـــاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفـــه نحن ولا أنت، وقد بعثنا إليك فيهم أشـــراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردّهم عليهم، فهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

«يومئ البطارقة مصادقين..».

أحد البطارقة : صَدَقَـــا أيها الملك، قومهم أعلى بهم عينًا، وأعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم إليهما فليرداهم إلى بلادهم وقومهم.

«يظهر الغضب على وجه النجاشى..».

النجاشى : (لبطارقته غاضبًا) لا والله.. إذًا لا أسلمهم إليهما..

«يظهر القلق الشديد على عمرو وعبد الله ...».

بعض البطارقة : أهلهم أعلم بهم منا يا مولاى!

النجاشى : لا والله.. لا يُـــكاد قـــوم جاورونى ونزلوا بلادى واختارونى على من سواى حتى أدعوهم وأسألهم. إن كانوا كما يقولان أســـلمتهم إليهمـــا، ورددتهـــم إلى قومهـــم، وإن كانوا غير ذلـــك منعتهم منهما وأحســـنت كما أحســـنت جوارهما ما جاورونى..

«تظهر الخيبـــة والقلق على عمرو وعبد الله..

يصمت البطارقة مغلوبين على أمرهم.. ينادى النجاشى فى حرسه أن يرسلوا فى استدعاء هؤلاء الناس.. ينصرف الحرس مسرعين...».

* * *

«بذات مجلس النجاشى فى قصره وحوله أساقفته وقد نشروا أناجيلهم.. يدخل عليه المسلمون فى ملابسهم الخشنة البسيطة.. يبتدرهم النجاشى يحادثهم ويسمع إليهم عن طريق مترجم..».

النجاشى : (للمسلمين) ما هذا الدين الذى قد فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا دينى ولا فى دين أحد من هذه الملل؟

«يتقدم من بين المسلمين جعفر بن أبى طالب..».

جعفر بن أبى طالب : أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسىء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام، فصدقناه

وآمنـــا بـــه واتبعناه على ما جاء به مـــن الله، فعبدنا الله وحـــده فلم نشـــرك به شـــيئًا، وحرمنا ما حـــرم علينا، وأحللنـــا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنـــا فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نســـتحل ما كنا نســـتحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من ســـواك، ورغبنا فى جوارك، ورجونا أن لا نظلم عندك أيها الملك.

النجاشى : (لجعفر) هل معك مما جاء به رسولكم عن الله من شىء؟

جعفر : نعم.

النجاشى : فاقرأه علىّ.

جعفر : (يتلو فى خشوع) بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ كٓهيعٓصٓ ﴿١﴾ ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ﴿٨﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ﴿٩﴾ قَالَ

رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِى غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِى بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾﴾[سورة مريم: الآيات: ١ - ٢١].

جعفر : (يمضى فى التلاوة إلى أن يتلو): ﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾[سورة مريم: الآية: ٣٣].

«النجاشى يبكى حتى اخضلت لحيته..

حوله الأساقفة لايغالبون عبراتهم التى أخذت

تنثال حتى اخضلت لحاهم وبللت صحفهم..».

النجاشى : (وهو يغالب عبراته) إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ..

(إلى عمرو وعبد الله - منتهرًا) انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يُكاد لهم!!

«ينصرف عمرو بـــن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة وقد ملأهما اليأس والقنوط..»

«النجاشـــى بعد فترة، يصرف المســـلمين فى حدب وحنو، فيغادرون مطمئنين...»

* * *

«بعـد يوم.. عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعـة مجتمعان يتسامران فيما كان..».

عمرو : (مغاضبًـــا متوعـــدًا) واللات والعزى لآتينـــه عنهم غدًا بما أستأصل به خَضْراءهم!!

عبد الله : (ناهيًـــا) لا تفعل يا عمرو!.. فإن لهم أرحامًا وإن كانوا قد خالفونا..

عمرو : (ممعنًا فى توعده) والله لأخبرنه أنهـم يزعمـون أن عيســـى ابن مريم عبد!!

* * *

«اليوم التالـى.. النجاشـى بمجلسـه فى قصره وبين يديه المترجمون لكلام الغرباء، يستأذن عليه عمـــرو بن العاص ومعـــــه عبد الله، فيأذن لهمـا علـى مضض..».

عمرو بن العاص : أيها الملك، إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم شيئًا عظيمًا.

النجاشى : (متشككًا) فماذا يقولـــون؟!.. قـد سمعناهم بأمس، فما قالوا إلاّ كلامًا طيبًا..

عمرو : (ملحًا) أرسل إليهم أيها الملك فاسألهم عنه، وسترى صدق ما أقول..

«النجاشى يغالب ضيقه، ويرسل فى استدعاء المسلمين..».

* * *

«بمجلس النجاشى.. ومعه عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة.. يجلس إلى النجاشى أساقفة الدين، وبعض البطارقة.. يدخل المسلمون..».

النجاشى : (مبتدرًا) ماذا تقولون فى عيسى ابن مريم؟

جعفر بن أبى طالب : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا صلى الله عليه وسلم: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول.

«النجاشى يضرب بيده إلى الأرض، يتناول عودًا».

النجاشى : (لجعفر) والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت.. إن هذا لا يعدو ما جاء به عيسى..

(للمسلمين) اذهبوا فى سلام.. أنتم شيوم (آمنون) بأرضى.. من سبكم غرم. من سبكم غرم. من سبكم غرم.

(مستأنفًا) ما أحب أن لى دَبْرًا (جبلا) من ذهب وأنى آذيت رجلًا منكم (آمرًا لحاشيته وهو يشير إلى عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة) ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لى بها، فوالله ما أخذ الله منى الرشوة حين

ردّ علىّ ملكى فآخذ الرشــوة فيه، وما أطاع الناس فىَّ فأطيعهم فيه!!

«ينصرف المسلمون راضين مرضيين فى سلام.. على باب القصر، يصادفهم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة وقد بدا عليهما الخيبة واليأس والقنوط!!»

* * *

«مكــة.. قريش وقد طــاش صوابها.. لا تجد مــا تبثه للناس إلا زعمها بأن محمدًا به جنة.. تتناهــى هذه المزاعم إلى ضمــاد الأزْدى وكان قد اشــتهر بالتطبيب والمداواة.. وقد أتى مكة لزيارة البيــت العتيــق، يندهش لما يســمع وقد كانت لــه بمحمد صحبة فى الجاهليــة فلم يأخذ عليه فيها شــيئًا.. بيــد أن كفار قريــش لا يدعونه.. ويلاحقونــه بســمومهــم وأباطيلهــم.. لا يتركونه دون أن تذهب نفسه أشتاتًا».

ضماد الأزْدى : (كالمحدث نفسه) لو أتيت هذا الرجل فداويته!.. لو لقيته لعل الله أن يشفيه على يدى!..

«ضمــاد يغادر الكعبة.. يمضى فى أحياء مكة باحثًــا عــن محمــد صلى الله عليه وســلم، حتى يلقاه».

ضماد : (لمحمد) يا محمد، إنى أداوى الريح، فإن شـئت داويتك لعل الله ينفعك! إن الله يبرئ على يدى من يشاء.

محمد : (فى هدوء وسـلام) الحمد لله.. نحمده ونستعينه، من يهد الله فلا مضل لـه، ومنْ يضلل فلا هادى له..

«ينعقد لسـان ضمـاد.. ينظـر إلى محمد وقد أخذته الحيرة..».

ضماد : (مرددًا فى ذهول) هداية؟!.. من يهد الله فلا مضل له!

محمد : يا ضماد، إنى أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

«يمضى محمد عليه السلام فى بيانه وهدايته لضماد، والرجل منصت مستغرق فى التأمل فيما يسمع..».

ضماد : (لمحمد) هلا أعدت علىّ ما تقول؟!..

«محمـد يعيد على مسـامعه ما قـال.. بينما يتغشى ضماد قبس يشع فى نفسه نورًا..».

ضماد : (كالحالم) لقد سمعت كلام الكهنة، وكلام السـحرة، وقول الشـعراء.. فمـا سمعت مثل هذا قط.. لقـد بلغت بكلامك قاموس البحر.. هات يا محمد يدك أبايعك.. وأشهد أنه لا إله إلاّ الله، وأنك رسول الله..

* * *

«بحـى من أحيـاء مكة.. عمر بـن الخطاب يمضى متوشـحًا بسـيفه.. طويـل القامة مفتول العضل.. تبدو عليه شـدة المراس.. وقد امتلأت

نفسه غضبًا من محمد الذى فرق شمل قريش وحارب دينها وسب آلهتها.. يلقاه فى أحد الأزقة نُعَيم بن عبد الله...».

نُعَيم بن عبد الله : (وقد لفت نظره حال عمر)أين تريد يا عمر؟!

عمر بن الخطاب : أريد محمدًا هذا الصابئ الذى فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله.

نعيم : والله لقد غرتك نفسك من نفسك يا عمر، أترى بنى عبد مناف تاركيك تمشى على الأرض وقد قتلت محمدًا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم!!!

عمر : (وقد بدت عليه الدهشة) وأى أهل بيتى؟!

نعيم : ختنك وابن عمك سعيد بن زيد بن عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب، فقد والله أسلما وتابعا محمدًا على دينه، فعليك بهما.

«ينصرف عمر غاضبًا مسرعًا لا يلوى على شىء!»

* * *

«دار سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، ومعه زوجه فاطمة بنت الخطاب، ومعهما خباب ابن الأرت.. يتلو عليهما خباب من سورة طه.. يسمعون خطوات ثم طرقات عمر ... يسارعون إلى إخفاء الصحيفة.. يدخل عمر بشكوكه وغضبه..».

عمر بن الخطاب : (مبـادرًا وقد سمع جـزءًا من تلاوة خباب) ما هذه الهينمة التى سمعت؟!

سعيد بن زيد وفاطمة بنت الخطاب : ما سمعت شيئًا.

عمر : (غاضبًـا) بلى والله، لقد أخبرت أنكما تابعتما محمدًا على دينه!

«عمر يبادر زوج شقيقته فيضربه ضربة شجت رأسـه.. تبادر فاطمة للدفاع عن زوجها فيضربها عمر ضربة شـجت رأسـها هى الأخـرى.. عمر وكأنه أُخـذ وانفثأ غضبه وقد رأى مشـهد دماء أخته وختنه تسيل..».

فاطمة : (وقد تشـجعت بما أحسـته من مظهر عمر) نعم قد أسلمنا وآمنا بالله ورسولـه ، فاصنع ما بدا لك.

عمر : أعطينـى هذه الصحيفة التى سمعتكـم تقرأون آنفًا أنظر ما هذا الذى جاء به محمد.

فاطمة : إنا نخشاك عليها !

عمر : (مطمئنًا إياها) لا تخافـى! واللات والعزى لأردنها إليكما إذا قرأتها..

فاطمة : (وقـد لاحظـت رقته وطمعت فى إسـلامه) يا أخى، إنك نجس على شركك، وأنه لا يمسه إلاّ الطاهر.

«عمر يقوم، ويذهب فيغتسـل ويعود إلى أخته وختنـه، فيأخذ منهمـا الصحيفـة.. ويبدأ فى تلاوتها..».

عمر : (يقرأ من الصحيفة) بسم الله الرحمن الرحيم..

«يبدو على عمر الذعر.. تسقط الصحيفة من بين يديه، يتمالك نفسه ويلتقطها..».

عمر : ما أحسن هذا الكلام وأكرمه!

(يستأنف التلاوة) ﴿طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾ تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى ﴿٤﴾ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ﴿٦﴾ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴿٨﴾ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿٣١﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾[سورة طه: الآيات: ١- ١٥].

«عمر يتوقف مبهورًا واجف القلب محتبس الأنفاس..».

عمر : (وقد تمالك نفسه) أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله.

«خباب بن الأرت يخرج مكبرًا من مخبئه بالدار متهللاً مكبرًا...».

خباب بن الأرت : (لعمر) أبشـــر يا عمر.. إنى لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه.. فإنى سمعتـــه بأمس يدعو الله فيقول: «اللهم أيّد الإســـلام بأحد الرجلين.. بأبى الحكم عمرو بن هشـــام أو بعمر بن الخطاب».. فالله الله يا عمر..

عمر : (لخباب) فدلنى يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم.

خباب : هو فى بيت عند الصفا معه فيه نفر من أصحابه.

«عمر يتوشـــح بســـيفه، ويخرج يتلمس رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحبه...».

* * *

«دار بأســـفل الصفـــا.. بداخلهـــا النبى عليه السلام وصحابته.. فيهم حمزة بن عبد المطلب.. عمر يقرع الباب ، أحد المســـلمين ينظر من ثقب الباب فيهوله منظر عمر المتوشح بالسيف.. يعود فزعًا إلى الرسول ـ صلى الله عليه وسلم – فيخبره بما رآه..».

حمزة بن عبد المطلب : (للرسول) ائذن له يارسول الله، فإن كان جاء يريد خيرًا بذلناه له، وإن كان يريد شرًا أخذناه بسيفه!

النبى : (فى هدوء) افتحوا له، فإن يرد الله به خيرًا يهده..

«أحد المســـلمين يفتـــح البـــاب، يندفع عمر للداخـــل.. يســـتقبله النبى عليه الســـلام فيأخذ بمجمع ردائه، ثم يجذبه جذبة شديدة..».

النبى : (لعمر) ماجاء بك يا ابن الخطاب، فوالله ما أرى أن

تنتهى حتى ينزل الله بك قارعةً.

عمر : يا رسـول الله، جئتك لأومن بالله وبرسـوله وبما جاء من عند الله.. جئت أشـهد بأنـه لا إله إلا الله وأنك رسـول الله!

«يكبر المسـلمون فرحيـن.. تكبيـرات تناهت إلى طرقـات مكة..».

«عمر بين المسلمين، لا يزال ولا يزالـون علـى فرحـهـم بإسلامه..».

* * *

«عمر وسـط عدد من المسـلمين مـن صحابة الرسول».

عمر : (لأصحـاب الرسـول) لا أحب أن لا يصيبنـى ما يصيب المسلمين.

أحدهم : فما تريد ياعمر؟

عمر : أريد أن أُعلم قريشًا بإسلامى – فأى قريش أنقل للحديث؟

صحابى : جميل بن مَعْمر الجُمَحى..

«يخرج عمر، فيتلمس جميلاً بن معمر الجُمحى حتى عثـر عليه..».

عمر : (لجميل بن معمر) أعلمت يا جميل أنى قد أسـلمت ودخلت فى دين محمد؟

«يُفجأ جميل فيسـارع بالانصراف مذهولاً من المفاجأة.. يقصد بـاب الكعبة، حتى إذا انتهى

إليه وقف يصرخ فى قريش وهم فى أنديتهم حول الكعبة، وعمر واقف من خلفه..».

جميل بن معمر : (صارخًا) يا معشر قريش، ألا إن عمر بن الخطاب قد صبأ!

عمر بن الخطاب : (مناديًا من خلفه) كذبت، ولكنى قد أسلمت وشهدت أن لا إله إلاّ الله وأن محمدًا عبده ورسوله.

«يطير إليه القرشيون ثائرين غاضبين، يتهجمون عليه، فيقاتلهم عمر ويقاتلونه حتى قامت الشمس على رؤوسهم.. وقد بلغ التعب بالجميع كل مبلغ..».

عمر : (لقريش) افعلوا ما بدا لكم، فأحلف بالله أن لو قد كنا ثلاثمائة رجل لتركناها لكم، أو لتركتموها لنا.

«يمر عليهم العاص بن وائل السهمى شيخ كبير من شيوخ قريش عليه حلة حِبَرة – ضرب من برود اليمن – وقميص موشى، يقف عليهم متسائلا..».

العاص بن وائل : (للجمع) ما شأنكم؟!

القرشيون : صبأ عمر!

العاص بن وائل : مه ؟! رجل اختار لنفسه أمرًا فما تريدون؟!
(مستأنفًا) أترون بنى عدى يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟!
(آمرًا) خلوا الرجل.

«ينفض القرشيون من حول عمر مستسلمين..
يمضى عمر، فيصلى بالكعبة والكفار يرقبون فى

حســـرة وقـد ملكهم اليـــأس!.. ما إن جهر عمر بصلاته، حتى أقبل المسلمون يقيمون الصلاة فى البيت المحرم».

* * *

هلكت الصحيفة ، إلا اسم الله

﴿ يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ *
عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * ﴾

[سورة يس]

﴿ وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى
فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا * ﴾

[سورة الفرقان]

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ
يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا * ﴾

[سورة الفرقان]

«مكة وقد ازداد أذى قريش للإسلام والمسلمين، واشتد تعرضهم لمحمد صلى الله عليه وسلم.. يتفننون فى إيذائه والتعرض له والتحرش به.. يزمع بعضهم أن يعتدى عليه بالمسجد.. يحس بعضهم بعلل يتشكون منها لا يعرفون لها سببًا.. يقول بعضهم إنها من سحر محمد، ولا يجد آخرون بأسًا من طلب صفحه.. بينما تتزايد تهديدات أبى جهل وتربصه بالنبى.. يحلف بأنه إن رأى محمدًا فلسوف يؤذيه.. لا يردعه عن ذلك تكرار إخفاقه فيما أراد..».

«النبى صلى الله عليه وسلم لا يبالى بما يفعلونه، ولا بما يضمرونه.. تذوب ذاته فى الله، ويصبر على ما يصنعون.. إذ هو فى خلوته يتعبد ويناجى ربه، يوافيه الروح الأمين».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۝٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠﴾ [سورة يس: الآيات: ١ - ١٠].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة.. قريش لا تزال فى حيرة ولجاجٍ.. لا تقدر على استيعاب كيف يكون محمد رسولاً من عند الله، بينما هو مثلهم.. رجل من الرجال، يأكل ويشرب كما يأكلون ويشربون.. يختلف إلى السوق كما يختلفون، ويسعى لمعاشه كما يسعون.. يسأله بعضهم.. لماذا لم يجعل الله لك جنانًا، وقصورًا تغنيك عمّا نراك تبتغى، فإنك تقوم بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتمسه.. أسئلة حائرة لا تزال بهم تشغل عقولهم الضامرة، وأفهامهم السقيمة.. يظنون أن النبى لا يكون نبيًا إلا إذا كان ملكًا غنيًا عظيمًا لا يحيا كما يحيون، ولا يلتمس من سبل الحياة ما يلتمسون..».

«محمد – صلى الله عليه وسلم ـ فى داره.. يتأمل سقم أفكار هؤلاء المشركين، وقلة عقلهم.. إذ هو فى تأملاته وتعبده، يوافيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَالَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾﴾[سورة الفرقان: الآيات: ٧ ـ ١٠].

(يرتفع الوحى)

محمد : (متمتمًا لنفسه فى خشوع) بل اجمعها لى فى الآخرة يارب العالمين.. (محدثًا نفسه) الفقر أحب إلىّ، وأن أكون عبدًا صابرًا شكورًا..

جبريل : يا محمد! إن رب العزة يقرئك السلام.. ويقول لك .. (يتلو): ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِۗ وَجَعَلۡنَا بَعۡضَكُمۡ لِبَعۡضٖ فِتۡنَةً أَتَصۡبِرُونَۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرٗا ٢٠﴾ [سورة الفرقان: الآية: ٢٠]

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة، عقبة بن أبى معيط وقد آب من سفر.. عقد النية على أن يولم لقريش بمناسبة إيابه.. لا يفوته أن يدعو محمدًا صلى الله عليه وسلم.. كان يكثر من مجالسته فى الجاهلية، ويأنس إليه.. كره أن يتخلف محمد صلى الله عليه وسلم عن دعوته.. أرسل يلح عليه، ولكن النبى أبى أن يحضر وعقبة على الشرك.. ويستكثر عقبة أن يتخلف محمد عن دعوته فينطق بالشهادتين..».

«بعد أيام.. منتدى قريش بظاهر الكعبة فيهم عقبة بن أبى معيط .. يلحق بهم أبىّ بن خلف وكان غائبًا لأيام..».

قرشى : (لأبىّ بن خلف) أما علمت ما كان من شأن ختنك عقبة؟!

عقبة بن أبى معيط : (ناهرًا) تبًّا لك!

القرشى : (غامــزًا على عقبة) أما علمت أن عقبة أســلم وشــهد بإله محمد، وبأن محمدًا رسول الله..

«عقبة يطأطئ مغلوبًا على أمره».

أبىّ بن خلف : صبأت يا عقبة؟!!!

عقبة : والله ما صبأت، ولكن رأيت عظيمًا ألا يحضر طعامى رجل من أشــراف قريش.. وقد أبى محمد أن يحضر حتى أشهد له فشهدت ليحضر ويطعم.

أبىّ بن خلف : (ناهرًا) وجهى من وجهك حرام إن تابعت محمدًا، وما أنا بالذى يرضى عنك أبدًا إلا أن تأتيه وتبزق فى وجهه وتطأ عنقه وتشتمه...

* * *

«بعد يــوم.. بظاهر الكعبــة.. يصادف عقبة محمدًا عليه السلام، فيتعرض له تعرضًا قبيحًا.. يمسح الرسول صلى الله عليه وسلم وجهه الكريم فى هدوء، ويمضى دون أن ينبس بشــىء.. يقف عقبــة مبهوتًا يحس بخزى شــديد ممــا فعل.. يزيده خجــلاً وخزيًا أدب الرســول.. وانصرافه ومضيه عنه فى ترفع وسلام ... »

«محمد فى خلوته حزينًا آســيًا، يتصبر على هذا الأذى ما وســعه التصــبر.. يناجى ربه.. إذ هــو فى مناجاتــه وتهجده، يتنــزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾ ﴾ [سورة الفرقان: الآيات: ٢٥- ٢٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش فى منتداها بظاهر الكعبة تتسامر وتتجادل.. محمد صلى الله عليه وسلم هو شاغلها الشاغل.. ينبرى أحدهم..».

قرشى : إن كان محمد نبيًا كما يزعم ، فلم يعذبه ربه هذا العذاب؟!.. لماذا لا ينزل عليه القرآن الذى يدعيه جملة واحدة؟.. لماذا إن كان نبيًّا يلاقى هذا العناء، فلا يأتيه القرآن الذى يزعمه إلا مفرقًا.. هلا ينزل عليه هذا القرآن جملة واحدةً ؟!!

«يصادق القرشيون على كلامه ساخرين مستهزئين!».

* * *

«محمد عليه السلام فى خلوته ، يتعبد ويتهجد..

لا يلتفت إلى ترهات المشركين.. يأتيه جبريل عليه السلام..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ﴿٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٣٤﴾ ﴾[سورة الفرقان: الآيات: ٣٢ ـ ٣٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«قريش وقد أمعنت فى هزئها وسخريتها.. تبدل الأحجار التى تعبد كأنها تبدل ملابسها.. يتابعون أهواءهم، ويتخذون الرسول هزوا.. يتنادون بأنه كاد أن يضلهم عن عبادة آلهتهم – هذه الأصنام التى يعبدون وفيها يبدلون!!!..»

«محمد فى تعبده وتهجده.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد).. ﴿ وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾ أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ

يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾[سورة الفرقان: الآيات: ٤١ ـ ٤٤].

(يرتفع الوحى)

* * *

«مكة وقد بلغ التوتر فيها مداه.. المسلمون فرحون بإسلام حمزة ثم عمر، وبما تناهى إليهم من طيب حياة المهاجرين الذين تتزايد أعدادهم بأرض الحبشة ورد وخذلان عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة حين ردهما النجاشى خائبين، بينما قريش تتميز غيظًا، ويطيش ما بقى من عقلها – لا تدرى ما تفعل لمحاصرة الدعوة.. ها هو الإسلام ينتشر رغم كل شىء، وهؤلاء هم المسلمون يجدون الظل والمأوى فى كنف ملك نصرانى على الجانب الآخر من البحر.. ما سر الإسلام الذى فعل ويفعل بهم هذه الأفاعيل.. هو إذًا محمد.. لا نجاة لقريش، ولا وأد للإسلام، ما لم يحصروا ويحاصروا محمدًا وبنى هاشم أجمعين.. أليسوا مانعيه؟!.. إذن فليذوقوا معه العذاب والنكال، فإما أوقفوه وإما أسلموه !!..».

«منتدى قريش، وقد اجتمع رؤوس جميع بطون وأفخاذ قريش، يجترون غيظهم وكمدهم،

ويراجعون ما سلف من خذلانهم وإخفاقهم.. ويلومون أنفسهم، لا هُمُ قتلوه، ولا هُم نجحوا مع أبى طالب فى مبادلته بعمارة بن الوليد.. ولا هم قادرون على إيقاف تفشى دعوته حتى طالت حمزة وعمر.. لا بد إذن من الحصر والحصار، يجمع الحاضرون على منابذة بنى هاشم وإخراجهم من مكة إلى الشِّعْب.. ويجمعون على «صحيفة» تعاقدوا وتعاهدوا فيها على ألا ينكحوا بنى هاشم ولا ينكحوا إليهم ولا يبيعوهم شيئًا ولا يبتاعوا منهم، ولا يقبلوا منهم صلحًا ولا تأخذهم بهم رحمة ولا شفقة ولا رأفة حتى يسلموا الرسول عليه الصلاة والسلام للقتل..».

«ما إن فرغ كبار كفار قريش من إملاء وكتابة الصحيفة، حتى نهضوا فأخذوها إلى حيث علقوها فى جوف الكعبة توكيدًا على أنفسهم!!..».

* * *

«بعد أيام، وقد خرج بنو هاشم إلى الشِّعْب – وخلت مكة منهم عدا أبى لهب عبد العزى ابن عبد المطلب الذى فارق قومه وظاهر قريشًا.. أحد أزقة مكة بظاهر الكعبة.. أبولهب فى طريقه تصادفه هند بنت عتبة بن ربيعة..».

أبولهب : يا بنت عتبة.. هل نصرت اللات والعزى، وفارقت من

فارقهما وظاهر عليهما؟

هند : (وقد توقفت).. نعم.

أبولهب : جزاك الله خيرًا..

هند : وجزاك خيرًا يا أباعتبة على ما فعلت!!

* * *

«مكة وقد مضت الأيام والشهور، وهى خالية من بنى هاشم المحصورين فى الشِّعْب.. أبو جهل يسير فى أحد أزقة مكة، فيلقى حكيم ابن حزام بن خويلد بن أسد ابن شقيق خديجة زوج الرسول عليه السلام، ومعه غلام يحمل قمحًا.. أبوجهل يتظنن فى وجهته فيقطع عليه الطريق..».

أبوجهل : (وقد أمسك بتلابيب حكيم وتعلق به) هذا طعام لمحمد!! لا تذهب أنت وطعامك حتى أفضحك فى مكة!

«يتصادف مرور أبى البَخْترىّ بن هشام بن الحارث..من كفار مكة..».

أبوالبَخْترىّ : (لائمًا لأبى جهل) طعام كان لعمته عنده، أفتمنعه أن يأتيها بطعامها؟!!

أبوجهل : حتى أفضحه بمكة!

أبوالبَخْترىّ : خلّ سبيل الرجل.

«أبوجهل يأبى.. يتشابك الرجلان حتى نال كل منهما من صاحبه، فأخذ أبوالبَخْترىّ لحْىَ بعير فضرب بها أبا جهل فشجه ووطئه وطئًا شديدًا..».

«ينصـرف حكيـم بـن حـزام وغلامـه إلى وجهتهما..»

* * *

«شـعب مكة، وقد مضت قرابة ثلاث سنوات وبنـو هاشـم محصـورون محاصـرون فيها، لا يصهـرون ولا يتبايعـون مع أحد مـن قريش.. يعانون الجوع وشظف العيش فى جبال الشِّعْب.. تقاطعهـم قريش وتضيـق عليهم حتى خجل من ذلك بعضهـم فيحتالون لتسـريب الطعام لهم.. هشـام بن عمرو يحمـل بعيرًا بما يسـتطيع من طعام، ويتجه به ليلاً إلـى الشِّـعب، حتى إذا اقترب خلع حبل البعير ودفعه إلى الشِّعْب ليتلقاه المحاصرون..».

«هشـام بن عمرو يحـس بضآلة أثر ما يتكبده فى نجدة بنى هاشـم.. يضيق صدره بما يجرى، وتعييه الحيل.. فيذهب إلـى زهير بن أبى أمية ابن عاتكة بنت عبد المطلب..».

«بدار زهير بن أبى أمية..»

هشام بن عمرو : أيرضيـك أن تأكل الطعام وتلبس ما تشـاء من الثياب، وتتزوج النساء، وأخوالك كما تعلم لا يبتاعون شيئًا ولا يُشترى منهم شىء ولا يتزوجون من قريش ولا يتزوج منهم أحد؟

«زهير يطرق خجلاً».

هشام : (مستأنفًا) لـو كانـوا أخـوال أبى الحكم عمرو بن هشام

ثـم دعوتـــه إلى ما دعاك إليه فى أخوالك ـ ما أجابك إليه أبدًا ! !

زهير بن أبى أمية : ويحك يا هشام ! ! فما أصنع؟!

هشام : (مرددًا فى استنكار) ماذا تصنع؟!

زهير : إنمـا أنا رجـل واحد، لو كان معى رجـل آخر لقمت فى نقض هذه الصحيفة حتى أنقضها.

هشام : قد وجدت رجلاً..

زهير : من هو؟!.. إلىَّ به.

هشام : أنا.

زهير : أبغنا رجلاً ثالثًا..

«يتعاهد الرجلان على أن يبذلا ما يستطيعان لنقض الصحيفة الظالمة...».

* * *

«دار المطعـــم بـن عـدى بأحـد أحيـاء مكـة، ومعـه هشـام بن عمرو..».

هشام بن عمرو : يا مطعم، أقد رضيت أن يهلك بطنان من بنى عبد مناف وأنت شاهد على ذلك موافق لقريش فيه؟!

«المطعم يطرق خجلاً».

هشام : (مستأنفًا) أما والله لئن أمكنتموهم من هذا لتجدُنّها إليها منكم سراعًا!

المطعم بن عدى : ويحك! ! فماذا أصنع؟!.. إنما أنا رجل واحد!

هشام : قد وجدت ثانيًا.

المطعم : من هو؟

هشام : أنا.
المطعم : أبغنا ثالثًا.
هشام : قد فعلت.. زهير بن أبى أمية..
المطعم : فأبغنا رابعًا.. فذلك أقوى لنا...

* * *

«دار أبى البَخْترىّ بن هشـام.. معه هشام بن عمـرو، يتحدث إليه بما تحدث به إلى زهير بن أبى أمية والمطعم بن عدى.. يستنفره لنجدة بنى هاشم..».

أبو البَخْترىّ بن هشام : وهل من أحد يعين على هذا؟
هشام : نعـم.. زهير بن أبـى أمية والمطعم بن عدى ـ وأنا معك.
أبو البَخْترىّ : فأبغنا خامسًا، ذلك أقوى لنا..

* * *

«دار زمعـة بـن الأسـود بـن عبـد المطلـب، ومعـه هشـام بن عمرو.. يعرض عليه ما عرضه علـى مـن تكلم معهم فـى ظلـم الصحيفة لبنى هاشم..».

زمعة بن الأسود بن
عبد المطلب : وهـل علـى هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد.
هشام بن عمرو : بلـى. معنـا زهير بن أبـى أميـة، والمطعـم بن عدى، وأبو البَخْترىّ بن هشام..

«ينصـرف هشـام علـى ترتيـب لقـاء

يتلاقى فيه الخمسة لترتيب ما سوف يكون..».

* * *

«بصحن الكعبة.. زهير بن أبى أمية بعد أن طاف بالبيت سبعًا يتلاقى مع هشام والمطعم وأبى البَخْترىّ وزمعة.. ينادون فى قريش..».

زهير بن أبى أمية : (وقد اجتمع إليهم رؤوس قريش) أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى لا يباعون ولا يُبتاع منهم ، والله لا أقعد حتى تُشق هذه الصحيفة القاطعة الظالمة..

أبوجهل : (منبريًا) كذبت، والله لا تشق!

زمعة بن الأسود بن عبد المطلب : (لأبى جهل) أنت والله أكذب، ما رضينا كتابتها حيث كتبت!

أبو البَخْترىّ بن هشام : (مصادقًا) صدق زَمْعة، لا نرضى ما كتب والله فيها ولا نقرّ به.

المطعم بن عدى : (مؤمّنا على كلام زهير وزمعة وأبى البخترى) صدقتم وكذب من قال غير ذلك.. نبرأ إلى الله منها ومما كتب فيها.

أبوجهل : هذا أمر قضى بليل تشوور فيه بغير هذا المكان..

«يعلو الصخب بين الفريقين.. ويكاد يصل الأمر إلى اشتباك، وإذ هم فى ذلك يدخل أبو طالب إلى الكعبة... وقد جاء من الشِّعْب...».

أبوطالب : (مناديًا فى الجمع – تتخافت أصواتهم) إنما أتيتكم فى

أمــر هو نصف بيننا وبينكم: إن ابن أخى قد أخبرنى ولم يكذبنى أن صحيفتكم هلكت إلا اسم الله فيها..

قرشى : (مستنكرًا) هلكت؟!

آخر : إنها آمنة فى جوف الكعبة..

أبوطالب : هلــموا بنا إلى صحيفتكــم، فإن كانت كما قال ابن أخى فلا والله لا نســلمه حتى نموت عن آخرنا.. فانتهوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وإن كان الذى يقول باطلاً غير ذلك فأنتم وشأنكم.. قتلتم أو استحييتم !

قريش : قد رضينا بالذى تقول.

«يصادق هشام بن عمرو، وزهير بن أبى أمية، وأبوالبخــترى، والمطعــم بن عــدى، وزمعة بن الأســود، على كلام أبى طالب.. يبادر المطعم بن عدى إلى جــوف الكعبة قاصدًا الصحيفة ويندفع القرشــيون وراءه.. ما إن يتلمســوا الصحيفة إلا ويجدوها قد هلكت كما أخبر محمد..».

قرشيون : (وقد ألجمتهم المفاجأة) هذا سحر ابن أخيك!

أبوطالب : يا معشــر قريش علام نُحصر ونُحبس وقد بان الأمر وتبين أنكم أولى بالظلم والقطيعة والإساءة..

«أبو طالب يدخل وأصحابه ومعهم هشــام بن عمرو وزهير بن أبــى أمية والمطعم بن عدى وأبو البَخْترىّ بن هشام وزمعة بن الأسود – بين أستار الكعبة..».

أبو طالب وصحبه : (داعين) اللهم انصرنا على من ظلمنا وقطع أرحامنا واســتحل مايحرم عليه منا...

«قريــش يــزداد ارتباكها ويطيــش صوابها.. يسقط فــى أيــدى القـرشيين، لا يحيرون جوابًا، ولا ينطقون حديثًا...».

«مكة صباح اليوم التالى ، يستيقظ المكيون على جلبة.. ينظرون فتطالعهم أرتال بنى هاشم نازلين من الشِّــعْب عائديــن إلى حيث ديارهم فى جوار البيت العتيق...».

* * *

١٤

عام الأحزان

﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ ﴾

[سورة الصافات]

﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾

[سورة الحجر]

«مكة.. عـام الأحزان. السـنة العاشـرة من المبعـث. وقد مضت أيام منذ خروج بنى هاشـم من الشـعب وعودتهم إلى ديارهـم بجوار البيت العتيـق.. أبوطالب فى فراشـه وقد اشـتد عليه المرض. حوله بنوه.. يدخل النبى صلى الله عليه وسـلم ليعوده.. يمتد بينهما الحديث حتى يأتيا علـى ما كان مـن أمر قريش وسـعيها لدى أبى طالـب ليكـون بينهم وبين محمـد ، ورده عليه الصلاة والسلام عليهم..».

النبى : (لعمـه أبى طالب) ما طلبت منهـم إلا أن يقولوا لا إله إلاّ الله ويخلعوا ما يعبدون من دونه!

أبوطالب : (مغالبًـا مرضه ووهنه) والله يا ابن أخى ما رأيتك سـألتهم شحطًا (شططًا)!

النبى : (مؤملاً طامعًا فى إسلامه) أى عم، فأنت فقلها فأستحل لك بها الشفاعة يوم القيامة..

«أبوطالب يطرق مليًّا..».

أبوطالب : (بعد برهة – فى لين واضح) لولا مخافة السُّبة عليك وعلى بنـى أبيك من بعدى وأن تظن قريش أنى إنما قلتها جزعًا من الموت لقلتها لا أقولها إلا لأسُـرّك بها .

«ينصرف محمد..».

«يدخل كبار الهاشميين وبعض وجوه قريش، أبوطالـب يغالب مرضه وضعفه ووهنه.. يريد أن يوصيهم..».

أبوطالب : (فى صوت واهن) يا معشـر قريش أنتم صفوة الله من خلقه وقلب العرب، لم تتركوا للعرب فى المآثر نصيبًا إلا أحرزتموه

ولا شـرفًا إلا أدركتموه... صلـوا أرحامكم ولا تقطعوها... واتركـوا البغى والعقوق ففيها هلكت القـرون قبلكم، أجيبوا الداعـى وأعطوا السـائل... عليكـم بصدق الحديـث وأداء الأمانة... وإنـى أوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين فى قريش والصدّيـق فى العرب، وهو الجامع لكل ما أوصيكم به، وايم الله كأنـى أنظر إلى صعاليك العرب وأهـل البر فى الأطراف والمسـتضعفين مـن الناس قـد أجابوا دعوتـه وصدَّقوا كلمته وعظموا أمره فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا... دونكم يا معشر قريش ابن أبيكم كونوا له ولاة، ولو كان لنفسى مدة ولأجلى تأخير لكفيت عنه الهزاهز ولدافعت عنه الدواهى.

«يبـدو الضيـق على بعـض كـبراء قريش.. يتململون، ولكن لا يفصحون!..».

* * *

«أبوطالـب فى فـراش مرضـه، وحوله بنوه وشقيقه العباس.. يعوده أيضًا أبوجهل وابن أبى أميـة.. يدخل محمد ﷺ فيعـاود محاولته مع عمه.. عساه أن يسلم..».

محمد : (حاثًا) يـا عـم قل: لا إله إلاّ الله كلمة أشهد لك بها عند الله.

أبوجهل وابن أبى أمية : (معترضين) يا أبـا طالـب أترغـب عـن ملـة عبدالمطلب؟!

محمد : (معـاودًا دون أن يلتفت إليهما) يا عم قلها.. أسـتحل لك بها الشفاعة يوم القيامة..

«يكرر أبو جهل وابن أبى أمية اعتراضهما»

أبوطالب : (بوهن) لولا مخافة السبة يا ابن أخى لقلتها لأسرك بها...
«يقترب منه الموت..».

العباس : (وهو يقترب من أبى طالب) أخى!

«ينحنى العباس على شـقيقه ويقرب أذنه من أبى طالب».

أبوطالب : (يبدو كمن يحرك شفتيه.. تفيض روحه)..

العباس : (لمحمد) يا ابن أخى لقد قال الكلمة التى أمرته أن يقولها!

محمد : لم أسمع!

* * *

«مكة.. بعـد ثلاثة أيام من دفن أبى طالب.. بيت النبى ﷺ، محمد صلى الله عليه وسـلم إلى جوار فراش مـرض زوجه خديجة.. يبدو عليها المرض الشـديد..لا يفوت النبـى أنها تعانى من آلام تحاول إخفاءها حتى لا تزعجه.. ينظر إليها محمد فى حب وحدب وعطف وإشفاق.. تتحرك أشـجانه، وتطـوف بصفحـة وجدانـه أطياف متتابعة من الذكريـات.. إنه ليذكر كيف كانت خديجـة طوال هذه السـنوات قبسًـا مضيئًا من الحب الصادق والإخلاص العميق.. كيف كانت السند والعطاء والمشورة والأمان.. إنه ليذكر كيف أفرخـت روعه يوم أتاه الوحى.. دثرته وزملته.. تقول له: أبشـر يـا ابن عم واثْبُـت.. فو الذى نفـس خديجة بيـده إنى لأرجـو أن تكون نبى

هذه الأمــة.. إنك لتصــل الرحم وتحمــل الكَلَّ وتكســب المعــدوم وتَقْرى الضيــف، وتعين على نوائب الحق، ولــن يخزيك الله أبدًا.. تبادر إلى ورقة بــن نوفل، تحكى وتستفســر، وتعود إليه حانية مطمئنة ، تقول له: إنك لنبى هذه الأمة.. وإن محمدًا فى إشــفاقه هذا وطوفــان الذكريات التى ألمــت بخاطره، ليذكر كيف كانت خديجة رفيقة ناصحة أمينة تشد من أزره ، وتتحمل معه ســفاهات قريش وإعناتهــا واضطهادها وأذاها.. مثــال الزوجة الحانية الحصيفــة راجحة العقل والفكــر ، صافيــة الرؤية.. نصرتــه حين خذله النــاس ، ومنحتــه مــن الحنــو والســند ما أعانه على احتمال شطط وشطحات قريش وما لقى من كفارها من الإيــذاء والإعنات.. هى ملاك الحب والــبر والطهــارة.. قاسمته الأيام، وســرت عنه حــين فقدا معًا ما فقــداه من ذرية الذكور.. هى التــى أعقبت له من عاش لهما من إناث هُنّ قرة عينــه.. زينب ورقية وأم كلثــوم وفاطمة.. أترى الخطوب قد اجتمعت وألمت؟!.. بالأمس فقد أبا طالب ، أفســيفقد خديجة أيضًا؟!! ينظر إليها مشــفقًا يغالب قلقه وحزنه.. وقد أدرك أن ساعة الرحيل قد حانت.. تمتلئ نفسه إشفاقًا.. وإذ هو فــى حزنه هذا المقيم.. يلم به جبريل.. لا يحس به سواه..».

محمد : (لخديجة ونظره معلق فى السماء) يا خديجة.. هذا جبريل يقرئك السلام!

خديجة : (بوهن) الله السلام، ومنه السلام ، وعلى جبريل السلام!

محمد : (مسريًا) أمرت أن أبشرك ببيت من قصب فى الجنة، لا صخب فيه ولا نَصَب !

خديجة : (وقد طافت بأساريرها بسمة رضا) هل فى الجنة قصب؟!

محمد : إنه قصب من لؤلؤ مجتبى.

«يسود الصمت.. وتمر اللحظات بطيئة متثاقلة».

خديجة : (وقد سالت عبراتها) ما أشق الفراق!

محمد : (مطرقًا) سيكون لقاء فى الجنة إن شاء الله!

خديجة : (فى تنهد عميق) إن شاء الله!

محمد : (حانيًا) تكرهين ما أرى منك يا خديجة؟!.. وقد يجعل الله فى الكُرْه خيرًا!

خديجة : خيرًا إن شاء الله!

«تفيض روحها.. والنبى إلى جوارها يتشهد.. يسبل عينيها فى تسليم».

* * *

«أحد أزقة مكة، والنبى ﷺ قافل من«الحجون» حيث دفن قرة وقسيم حياته خديجة.. تتتابع الخطوب، ويأتيه من يخبره بأن من طواغيت قريش من يتحين الفرصة لينالوا منه ما عز عليهم سلفًا أن ينالوه فى حياة أبى طالب..».

«محمـــد لا يجـــزع ولا يبالى.. يلقـــى أحمالـه على الله، ويعـــود إلى داره، ليكفكف عن بناته لوعة فراق أمهن الحبيبة..».

* * *

«محمـــد ﷺ عائد من الكعبة فـــى طريقه إلى بيتـــه.. يعترضه أحد ســـفهاء قريـــش.. فيحثو التراب علـى رأســه الشريف، ثم يبادر بالفرار.. محمد ﷺ يمضى فى سبيله..».

«دار محمـــد ﷺ.. يدخـــل ولا يـــزال التراب على هامته الشريفة، يهول بناته ما يرينه من حال أبيهن.. تنهـــض إليه فاطمة، فجعلت تنفض التراب عنه وهى تبكى.. لا تستطيع أن تغالب عبراتها.. تهمـى عيناهـا بدمـع غزير إشفاقًا على ما أصاب أباها!!».

محمد : (بحنان) لا تبكى يا بنية!

(مســـتأنفًا وهو يربت عليها) – لا تبكى يا بنية! فإن الله مانع أباك!

* * *

«بعـــد أيام.. محمد ﷺ فى داره، يســـتـأذن عليـه عمـه أبو لهب.. يستقبله محمد بما اعتاده مع الناس من رفق وكرم، بيد أنه لا يستطيع أن يخفى دهشته..».

أبولهب : (مبادرًا النبى) علمت بما أزمعته قريش.. (مستأنفًا) امض يا محمد لما أردت وما كنت صانعًا إذ كان أبو طالب حيًّا فاصنعه . لا واللات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت.

«محمد لا يجيب..»

«يغادر أبولهب، ومحمد غارق فى تأملاته، يعجب لمن أثارته القبلية، بينما يعمى عن نور الحق !!»

* * *

«أبو لهب عبد العزى بن عبد المطلب ينصرف من منتدى قريش وقد بلغه أن ابن الغَيْطة قد سب ابن شقيقه محمدا سبًّا قبيحًا.. تأخذه النعرة القبلية.. يمضى باحثًا عن الرجل، ما إن يراه أبو لهب حتى يعنف به عنفًا شديدًا، وينال منه.يجرى ابن الغيطة مولولاً مستغيثًا إلى حيث منتدى قريش..».

ابن الغيطة : (صائحًا) يا معشر قريش.. يا معشر قريش..

«يتنادى إليه البعض متسائلين...».

ابن الغيطة : قد صبأ أبوعتبة عبد العزى بن عبد المطلب.

قرشى : (غير مصدق) وكيف؟! (مستأنفًا) لقد عرفناه أشد الناس على محمد والذين معه!!

ابن الغيطة : قد واللات والعزى سبنى وآذانى. أتعرفون لم؟!.. لأنى أتيت محمدًا فسببته وأنكرت عليه ما سفه به أحلامنا؟

«يتجه القرشيون إلى أبى لهب، تسبقهم تساؤلاتهم..».

أحد القرشيين : (لأبـــى لهب) أحقًا ما نســمع يا أبا عتبـــة؟!.. يقول ابن الغيطة إنك صبأت، وفارقت دين عبد المطلب!!

أبولهب : مـــا فعلت. ما فارقت دين عبـــد المطلب.. ولكنى أمنع ابن أخى أن يُضام!

«ينصرفون عنه..»

* * *

«بعد أيام.. منتدى قريش بظاهر الكعبة.. أبـو لهب فـى لفيف من القرشـــيين.. فيهم عقبة بن أبى معيط وأبو جهل عمرو بن هشام ، وآخـرون.. يتحين عقبة وأبو الحكـــم الفرصـة لمراجعـة أبى لهـــب فيما كان ، فقد هـــاب البعض أبا لهب، وكفوا أذاهم عن محمد.. وذلك لا يرضيهم!!».

أبو لهب : قلت لكم ســـالفًا إننـــى لم أصبأ، وإنما أمنع ابن أخى أن يُضام!

عقبة بن أبى معيط : أتمنعه وهو يخوض فى أبيك!!

أبوجهل : ألا تعلم أنه يسلك أباك عبد المطلب بين الكافرين؟!

«يطرق أبولهب حائرًا..».

عقبة : سل ابن أخيك أين مُدْخل أبيك؟..

أبوجهل : (مشيرًا إلى محمد بالكعبة على مرمى البصر) ها هو محمد، ما عليك إلا أن تسأله أين مُدْخل أبيك عبد المطلب؟

«أبو لهب ينادى محمدًا ﷺ..».

أبو لهب : (للنبى مبتدرًا) قل لى يا محمد، أين مدخل عبد المطلب؟

محمد : (فى اقتضاب) مع قومه..
«يبـادر أبو لهب إلى القرشـيين فرحًا، يعيد على مسامعهم ما قاله محمد..».

أبولهب : (لقريش) قد سألته، فقال: مع قومه.

عقبة : أولا تعرف أنه زعم بذلك أنه فى النار؟!

أبولهب : (ثائـرًا متوعـدًا) لا برحت لك عدوًا وأنـت تزعم أن عبد المطلب فى النار!!

«ينصرف محمد، لا يلقى إليهم بالاً..».

* * *

«قريش فى منتداها – كبارها سعداء بما ينالون من محمد ﷺ بعـد أن مات أبوطالب، وتوفيت خديجة.. راضون بما اسـتطاعوا به أن يردوا أبا لهـب عن نصرة ابن أخيه.. اجتمع كبارهم على إيذائه عليه السـلام والنكاية لـه ومضايقته فى بيتـه.. يتقدمهم جيرانـه: أبولهـب الذى نكل عما كان قد شـرع فيـه، والحكم بن أبى العاص ابـن أميـة، وعقبة بن أبى معيـط، وعدى بن الحمـراء الثقفى، وابن الأصـداء الهُزَلى.. أمعنوا فى مضايقتـه عليه الصلاة والسـلام حتى اضطر أن يتخذ حجرًا يستتـر به إذا صلى..».

«النبى ﷺ يصلى فى حجر الكعبة.. يتهجم عليه طواغيت وسـفهاء قريش وهو فى صلاته.. هذا يجأه وهـذا يتلتله [يدفعـه بعنف].. يقول

بعضهم: أنت الذى جعلت الآلهة إلهًا واحدًا؟!..
يتقدم عقبة بن أبى معيط، فيضع ثوبه على عنقه الشـريف، ويأخـذ فـى خنقه خنقًا شـديدًا.. يشـاهده أبو بكر فيأتى عدوًا.. يضرب هذا ويجأ هذا، ثم يأخذ بمنكبى عقبة ويدفعه دفعًا شـديدًا عن رسول الله، وينادى فى قريش..».

أبو بكر : (منتهرًا عقبة والقرشـيين) أتقتلون رجلاً أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ..

«يضحك القرشيون مستهزئين..»

* * *

«مكة.. أمـام دار النبى.. يخرج ﷺ، فيلقى السـفهاء قد ألقوا أمام باب داره بسـقط الذبائح وجلودها وأمعائها».

محمد : (مناديًـا وهو يرفع الفضلات من أمام الباب).. يا معشـر قريش.. يا بنى عبد مناف.. أى جوار هذا؟!

«يتضاحـك جيرانـه الكفار مـن وراء أبواب دورهم فى سخرية وشماتة.. يمضى الرسول ﷺ دون أن يعيرهم التفاتًا..»

* * *

«بصحن الكعبة، النبى ﷺ قائم يصلى، على مرمى البصر، رهط من القرشيين يراقبون.. ينبرى أبو جهل..».

أبوجهل : (وهو يشير إلى سلا [دهن] جزور قريب نحرت بأمس) من يأخذ سلا (دهن) هذا الجزور فيضعه على كتف محمد إذا سجد؟

عقبة بن أبى معيط : (ينهض منبريًا) أنا لها!

«ينطلق عقبة، إلى حيث يحمل بقايا الجزور المنحور.. يرقب محمدًا، حتى إذا سجد، قذف بما يحمله على ظهر النبى ﷺ..».

«النبى ﷺ ماض فى صلاته.. لا يصرفه شىء عما هو فيه.. بينما يتضاحك القرشيون.. يميل بعضهم إلى بعض من فرط سعادتهم بما صنعوا..».

«تظهر فى الأفق فاطمة بنت محمد.. ترى ما على كتفى أبيها المصطفى وهو ماض فى صلاته.. تقترب وتطرح عن ظهره الشريف ماألقوه عليه، وتدعو على من صنع ذلك..».

محمد : (يدعو ربه وقد فرغ من صلاته) ..اللهم عليك بالملأ من قريش.. اللهم عليك بأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عقبة وأمية بن خلف وعقبة بن أبى معيط..

«ينصرف النبى ﷺ من الكعبة...».

* * *

«محمد ﷺ، فى طريقه إلى داره.. يلقاه أبو

البخترى ومعه سوط قد تخصَّر به.. يلاحظ تغير وجه النبى.. يسأله مشفقًا..».

أبو البختري : (قلقًا) ما لك؟!

محمد : (حزينًا) خل عنى!

أبو البختري : (فى تصميم) علم الله، لا أخلِّى عنك أو تخبرنى ما شأنك فلقد أصابك شىء..

محمد : (بأسى) إن أبا جهل أمر فطُرح علىَّ فَرْث وأنا أصلى..

أبو البختري : (غاضبًا) هلم إلى المسجد..

«ينطلق النبى ﷺ وأبوالبخترى إلى الكعبة، يدخلان.. يلمح أبو البخترى أبا جهل فيطير إليه غاضبًا..».

أبو البختري : (لأبى جهل) يا أبا الحكم، أنت الذى أمرت بمحمد فطُرح عليه الفرث؟

أبو جهل : (فى غرور) نعم..

«أبو البخترى ينقض على أبى جهل فيوسعه ضربًا بالسوط.. يثور القرشيون، ويحيطون بأبى البخترى انتصارًا لأبى جهل.. يصدهم أبو جهل..».

أبوجهل : (مناديًا فى قريش) ويحكم.. دعوه.. فإنما أراد محمد أن يلقى بيننا العداوة وينجو هو وأصحابه!

* * *

«بصحن الكعبة.. محمد ﷺ جالس يتلو القرآن.. يمر به أبو جهل، فيسمع من تلاوة محمد قول الله عز وجل: ﴿ فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ

﴿ ٣١ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٣٢ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ٣٣ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰ ٣٤ ثُمَّ أَوۡلَىٰ لَكَ فَأَوۡلَىٰٓ ٣٥ ﴾

[القيامة: الآيات: ٣١ ـ ٣٢].

يتوقف أبو جهل.. ويلتفت إلى محمد..».

أبو جهل : (بغضب ممزوج بالتوعد) من توعد يا محمد؟

محمد : (فى اقتضاب) إيَّاك!

أبو جهل : بمَ توعدنى؟

محمد : أوعدك بالعزيز الكريم.

أبو جهل : (ساخرًا) أليس أنا العزيز الكريم؟!!

«ينصرف أبو جهل فى خيلاء.. معجبًا بذاته!!».

* * *

«محمد ﷺ فى خلوته يتعبد، يتأمل فى حال الكفار، وخيلاء أبى جهل وما يفرط منه..

يتنزل عليه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ٤٣ طَعَامُ ٱلۡأَثِيمِ ٤٤ كَٱلۡمُهۡلِ يَغۡلِي فِي ٱلۡبُطُونِ ٤٥ كَغَلۡيِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٦ خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ٤٩ ﴾[سورة الدخان: الآيات: ٤٣ ـ ٤٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

«منتـــدى قريـــش، أبـــو جهل فـــى جمع من أصحابه مـــن الكفار وطواغيـــت قريش.. يُخرج إليهم زبدًا، وتمرًا..».

أبوجهل : (للقرشيين ساخرًا) يا معشر قريش، أتدرون ما شجرة الزقوم التى يخوفكم بها محمد؟

بعض القرشيين : لا..

أبوجهل : (للقرشـــيين ســـاخرًا) إنها عجوة يثرب بالزبد.. (مستأنفًا) تزقمـــوا من هذا، فوالله مـــا يتوعدكم محمد إلا بهذا!! والله لئن استمكنا منها لنتزقمنها تزقمًا!!

«يضحكون ساخرين مستهزئين!!»

* * *

«محمد فى تعبده وتحنثه، يوافيه جبريل..».

جبريل : (يتلـــو علـــى محمـــد) ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾﴾ [سورة الصافات: الآيات: ٦٢ـ ٧١].

(يرتفع الوحى)

* * *

«منتدى قريش، أبو جهل فى لفيف من كفار قريش، لا تفارقه خيلاؤه..».

أبوجهل : (متعاجبًا) يهددنى محمد وقد علم أن ما بمكة كلها رجل أكثر ناديًا منى!

* * *

«محمد ﷺ خال إلى عبادته وتهجده ومناجاته ربه، يوافيه جبريل..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِب ﴿١٩﴾﴾[سورة العلق: الآيات: ١٧ ـ ١٩].

* * *

«مكة وقد تكاثرت نكايات قريش وأذاها واستهزاؤها بالرسول صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين.. تغرهم الأمانى وقد نالوا من محمد صلى الله عليه وسلم ما نالوه بعد رحيل أبى طالب – يجلسون فى منتداهم ومجالسهم، يتندرون بما فعلوا، ويستهزئون متغامزين.. يقولون: هذا الذى يزعم أنه نبى ومعه جبريل!!.. ويمعن الوليد ابن المغيرة والأسود بن عبد يغوث، والأسود بن عبدالمطلب بن أسد أبو زمعة، والحارث بن غيطلة السهمى، والعاص بن وائل فى سخريتهم وتغامزهم واستهزائهم.. يبادرون باستقبال وفود العرب التى تقدم إلى مكة لتنفيرهم وتحذيرهم من محمد عليه السلام – يتقولون فى ذلك الأقاويل..».

«محمد صلى الله عليه وسلم فى خلوته يتعبد
ويتهجد ويتحنث.. يتنزل عليه الروح الأمين..».

جبريل : (يتلو على محمد)﴿ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ ﴿٩١﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾ إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾ ٱلَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾ ﴾ [سورة الحجر: الآيات: ٨٩ ـ ٩٩].

(يرتفع الوحى)

* * *

١٥

« إن لم يكن بك غضب علىّ فلا أبالى »

﴿ أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ ﴾
[سورة فاطر]

«مكـة.. السنـة العاشـرة للمبعث.. لم ينصرم بعــد عام الأحــزان.. فيه فقد النبــى ﷺ عمـه ونصــيره أبا طالب، ثم بعده بأيام زوجه خديجة عليها الرضوان.. يزداد ائتمــار قريش وطغيانها وطمعها فى المزيد من إيذائه عليه الســلام وإيذاء المسلمين. تتتابع الخطوب، يجترئ سفهاء قريش وغلمانها على النيل من محمد.. يلاحقونه بالكيد والأذى حتــى ضاقــت أرض مكة بمــا رحبت، وعانى عليه الســلام والمسلمون عناء شديدًا.. بيد أنه مصطفى من ربه لتبليغ رسالة عليه إبلاغها.. لا يثنيه الأذى ولا يخيفه طغيان الكافرين.. يرنو ببصره إلى الطائف علّه بالغ مع أهلها ما يفرج ما يلاقيه والمسلمون من كربات من طواغيـت قريش وكفــار مكة.. إن أهلها ألين جانبًا بطيب العيش والمناخ فيها..».

«ليلة من ليالى شوال – السنة العاشرة للمبعث – الرســول ﷺ يغادر بيته مترجلاً مســتترًا عن عيــون قريش بظلام الليــل البهيم.. لا مطية ولا راحلــة، وحيــدًا بــلا رفيق إلا إيمانــه بالله عز وجل وبالرسالة التى بعث لتبليغها.. على قدميه الشــريفتين يبدأ رحلته الطويلـة الشاقة.. يسير ليلاً اتقاءً للعيون وقيظ الصحراء اللافح!!، ويأوى إلى أى ظــل ينام تحته نهارًا.. تمضى الأيام وهو إلى مقصده بالطائف يمضى.. يومًا وراء يوم.. عبر

الصحراء القاحلة، فؤاده مشدود إلى الله، وغايته إلى الله..».

«بعد أيام.. مشارف الطائف، تطل منها الحدائق والرياض الخضر.. يتلمس النبى عليه السلام أحدًا من ثقيف يتحدث إليه.. يقصد دار أبناء عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف: عبد ياليل، ومسعود، وحبيب.. وكان أحدهم قد تزوج امرأة من قريش من بنى جُمح.. يتحدث إليهم النبى ﷺ فيما جاء له.. ويمضى فى بيان دعوته إلى الله تعالى ونبذ عبادة الأصنام.. وما كان من قريش وطغيانها وإعناتها وصدودها!».

عبد ياليل : (يقاطع ساخرًا) لأقطّعن وأهتكن ثياب الكعبة إن كان الله قد أرسلك!

مسعود : (يضيف مستهزئًا) أما وجد الله أحدًا يرسله غيرك؟!

حبيب : واللات لا أكلمك أبدًا.. لئن كنت رسولا من الله كما تقول لأنت أعظم حقًا من أن أكلمك، ولئن كنت تكذب على الله لأنت شر من أن أكلمك!

«الرسول عليه السلام يقابل سخريتهم بثبات.. ينصرف حزينًا آسيًا دون أن يعلق على ترهاتهم بشىء..».

* * *

«النبى ﷺ يمضى فى أزقة الطائف.. لا يدعه السفهاء وحاله.. ائتمر عليه الثلاثة الذين

قصدهم، وأفشوا إلى قومهم ما يراجعونه ويصدونه بـــه.. أقعدوا لـــه فى طريقه صفـــين.. وأغروا به الســـفهاء والغلمان والعبيد يسبونه ويصيحون به أن أخـــرج من بلدنا، حتـــى اجتمع عليه الناس وسدوا أمامه الطريق.. النبى عليه السلام يحاول المرور بينهم فجعلوا يقذفونه بالأحجار.. لا يرفع رجـــلاً ولا يضع رجـــلاً إلا رضخوهـــا بالأحجار حتـــى دميت رجلاه وتخضبت نعـــلاه بالدماء.. كلما أذلقته الحجارة، قعد إلى الأرض، فيأخذون بعضديـــه ويقيمونـــه، فإذا مشـــى يرجمونه وهم يتضاحكون مستهزئين..

النبى عليه الســـلام يســـتطيع أن يســـتخلص نفسه منهم بمشـــقة بالغة.. يلمح حائطًا لبستان فيخلـــص إلى ظل نخلة وكرمة عنب وهو مكروب موجـــع مخضب القدمين والســـاقين بالدماء.. لا يكاد يكفكف ما أصابه حتى يكتشف أن الحائط والبســـتان لعتبة بن ربيعة وشـــقيقه شـــيبة.. قد ســـلف ورأى منهما ما رأى بمكـــة من عداوتهما وتظاهرهمـــا مع قريش على الكيـــد له وإيذائه.. ها هـــى الأيام ترميـــه بهما فـــى الطائف حيث التمس الخروج من حصـــار وأذى قريش فى عام الأحزان!!».

عتبة : (لأخيه شـــيبة وهو ينظر إلى محمـــد) ترى ما جاء به إلى الطائف؟!

شيبة : لعله يلتمس النصرة من «ثقيف».. ليمنعوه من قومه!

عتبة : كان عمه أبوطالب يمنعه من قريش..

شيبة : منـذ هلك أبوطالـب، وماتت زوجـه خديجـة، زاد أذى قريش له!!

عتبة : وها هي ثقيف قد شنفت لـه هـي الأخرى.. انظر.. ما أراه إلا هالكًا وقد أوسعوه رشقًا ورضخًا بالحجارة!!

* * *

«النبى عليه السلام مستندًا إلى الجدار، وظل الكرمـة – وقد نزفت جراحه نزفًا شـديدًا وبلغ به الإعيـاء والتعب كل مبلغ.. تهتاج مشـاعره من الضيـم الذى يلاقيه، والأذى الذى يلاحقه، والعذاب الذى يتحمله.. تسيل عبراته، ويتجـه إلى السماء..».

النبى : (داعيًا وهو ينظر إلى السـماء) اللهم إليك أشكو ضعف قوتى، وقلـة حيلتى، وهوانـى على الناس.. يا أرحـم الراحمين.. أنت رب المسـتضعفين وأنت ربى.. إلى من تكلنى؟! إلى بعيد يتجهمنى، أو إلى عدو ملكته أمرى؟!! إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى.. ولكن عافيتك هى أوسع لى. أعوذ بنور وجهك الذى أشـرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، مـن أن تنـزل بى غضبك أو تحل على سـخطك. لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك!

عتبة : (هامسًا لأخيه) أسمعت يا شيبة؟!

شيبة : (مأخوذًا) نعم!

عتبة : أيمكـــن أن يكون مثل هذا الرجـــل كذابًا.. أيحتمل كل ما يلقاه إن كان كذابًا؟!

شيبة : مهلاً يا عتبة.. ويحك!!

عتبة : (وقد أخذته الشفقة ـ ينادى أحد غلمانه) يا «عدَّاس»!

عدَّاس : (يقترب) لبيك يا سيدى!

عتبة : (وهو يشير إلى محمد) أترى هذا الرجل الجريح هناك!

عداس : (مستفسرًا) المستند إلى الحائط؟!

عتبة : أجل خذ قطفًا من هذا العنب فضعه فى هذا الطبق، واذهب إليه به فقل له أن يأكل منه..

«يبادر عدّاس، فيحمل الطبق بقطـف العنـب، ويذهـــب إلى حيث محمـــد ﷺ.. يضعـه أمامـه فى هدوء..».

عدّاس : (للنبى فى إشفاق) كل!

النبى : (وهو يتناول العنب) بسم الله!

«يبدأ محمد فى تناول حبات العنب..».

عدّاس : (وهو ينظر مليًا إلى محمد) واللّه إن هذا لكلام ما يقوله أهل هذه البلاد!

النبى : (فى تباسط) ومن أى البلاد أنت.. ما اسمك، وما دينك؟!

عدّاس : اسمى عدَّاس.. نصرانى من أهل نينوى!

النبى : من قرية الرجل الصالح يونس بن متى!

عدّاس : (مدهوشًا) وما يدريك ما يونس بن متى؟!

النبى : ذاك أخى، كان نبيًّا، وأنا نبىّ.

«يمضـــى محمـد فيـروى لعـداس ما كـان مـن أمـــر يونس... عدّاس تنهمر دموعه ويكب على

النبى، يقبل رأسه ويديه ورجليه..».

عدّاس : (وهـو يقبل رأس النبى) نبى؟!.. نعـم.. مـا يفعـل هذا إلا الأنبياء!

«عتبة وشيبة بمكانهما يرقبان بدهشة شديدة ما يجرى على مرمى البصر..».

عتبة : (لشيبة) أرأيت ما أراه؟!

شيبة : أجل!

عتبة : فما تقول؟!

شيبة : (مداعبًا) لقد أفسد غلامك علينا!

«عــدّاس يقبل عليهما لا يســتطيع أن يخفى دموعه..».

عتبة : (مبادرًا) ويلك يا عدّاس!.. ما هذا الذى رأيتك تفعله؟! ما لــك تبكى وتكب على هــذا الرجل وأنت لا تعرفه، فتقبل رأسه ويديه وقدميه؟!!

عدّاس : يا سيدى، ما فى الأرض خيرٌ من هذا الرجل.. لقد أعلمنى بأمر لا يعلمه إلا نبى!

عتبة : ويحك يـا عدّاس، لا يصرفنّك عـن دينك، فـإن دينك خير من دينه!

عداس : مهلاً يا ســيدى.. إن الذى يقول ما سمعته منه ، لا يمكن أن يدعو إلى شــر أو يغرى بفســاد، ولا يأمر إلا بمعروف، ولا يقول إلا حقًا!

شيبة : ويحك يا عدّاس! لقد ســحرك صاحبنا فيمن ســحر.. إن دينك خير من دينه!

«لا يبــدو على«عــدّاس» الاقتناع بمــا يقولـه

سيـداه.. يطـوى قلبه على إيمان تغشاه غمر قلبه بضياء عميق لا عهد له به».

* * *

«النبى ﷺ فــى طريقه الشــاق الطويل عائد إلى مكــة وقــد يئس من أمر ثقيــف وما لاقاه من ســفهائها.. يسائل نفســه.. ترى كيف يستقبله طواغيــت قريش وقــد علموا ما لا بــد قد علموه من أمر ما فعلته ثقيــف به!!.. وإنه لفى طريق عودتــه حزينًا مهمومًا، يلم به هاتف من الوحى أن اللّه مطبق على قومه الأخشبين، خاسف بهم الأرض – ولكنــه صلى اللّه عليه وســلم لا يملك بفيض رفقـه ورحمته إلا أن يقول: «بل أرجو أن يخرج اللّه من أصلابهم من يعبد اللّه عز وجل ولا يشرك به شيئًا..».

«عنــد قرن الثعالب.. فى طريق العودة.. يقيم عليه الســلام بنخلــة أيامًا قبل أن يدخل إلى أم القرى.. يوافيه هناك حبّه زيد بن حارثة».

زيد بن حارثة : كيف تدخل عليهم يا نبى اللّه وهُمْ قد أخرجوك؟!

النبى : يــا زيد، إن اللّه جاعل لما ترى فرجًــا ومخرجًا، وإن اللّه مظهر دينه وناصر نبيه...

* * *

«بغار حراء.. فى طريق العودة.. يتدبر النبــى

عليه الصلاة والسلام أمره.. بماذا يواجه ما لابد أن قريشًا قد حشدت له لإيذائه والنكاية به».

«النبى عليه السلام يصادف رجلاً من خزاعة.. يتحدث إليه أن يذهب بمكة إلى المُطعم بن عدىّ. وكان شهمًا، ليسأله...».

الخزاعى : (للمُطعم بن عدى) إن محمدًا ابن عبد الله يسألك.. أيدخل مكة فى جوارك ؟!

المُطعم بن عدى : نعم.. قل له فليأت..

«ينادى المُطعم على أولاده ، فيخبرهم بأنه قد أجار محمدًا من قريش».

المُطعم : (لأولاده) تلبسوا السلاح ، وكونوا عند أركان البيت، فإنى قد أجرت محمدًا.. لاتدعوا أحدًا يناله أو ينال منه...

«ينصرف بنوه لتنفيذ ما أمرهم به.. بينما ينصرف المُطعم إلى حيث يجد كبار قريش فى منتداها..».

«منتدى قريش بظاهر الكعبة.. رؤوس قريش، يلحق بهم المُطعم بن عدىّ..».

المُطعم : (مناديًا فى قريش) يا معشر قريش، إنى قد أجرت محمدًا فلا يعرض له أحد منكم..

«يهمهم القرشيون..».

«على مدى البصر يقف أولاد المطعم بن عدىّ الستة.. شاكين فى سلاحهم، على أهبة الاستعداد..».

«يظهـــر أبوســفيـان، يقتـرب مـــن المُطعـم بمنتـدى قريش..».

أبوسفيان : (للمطعم بن عدىّ) أمجيرٌ أم تابع؟!

المطعم : بل مجير..

أبوسفيان : إذن لا يُنقض جوارك!

«محمد ﷺ يدخـــل إلى الكعبة بصحبتـه زيد ابن حارثة.. يســتلم الركــن، ويصلى ركعتين.. ينصـــرف إلى بيتــه والمطعــم بن عــدىّ وأولاده يحيطــون بــه.. القرشــيون كأن على رؤوســهم الطير، يرقبون ما يجرى فى غيظ وكمد!!».

* * *

«مكــة، وقد مضت أيام.. والنبى ﷺ معتكف فى داره اتقاءً لسفاهات قريش...».

«منتــدى قريــش، بظاهــر الكعبــة... بعض رؤوس قريش وكبارها يتســامرون ويتشاورون فى أمر محمد الذى تنتشــر دعوته رغم كل شــىء، ورغــم كل ما فعلــوه.. يأتى إليهــم من يخبرهم أنــه قد حضر بصحن الكعبة الشــريف الشــاعر الأوســى: الطفيل بن عمرو الدوســى.. يبادرون إليه، يحيونــه بتحية الجاهلية، فمــا إن يبادلهم التحية ويجلس إليهم حتى يبادروه!!».

قرشى : يا طفيل، إنك قدمت بلدنا، وبين أظهرنا رجل قد أعضل

بنا، وقد فرق جماعتنا، وشتت أمرنا؟!

الطفيل : (متعجبًا) فكيف، وأنتم من أنتم؟!

القرشى : قوله كالسحر!..

الطفيل : (مرددًا) كالسحر؟!

القرشى : أجـل.. بل هو السـحر بعينه.. يفرق بـين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته!!

قرشى آخر : (مضيفًا) وإنا نخشى عليك وعلى قومك مـا قد دخل علينا، فلا تكلمه، ولا تسمعن منه شيئًا..

«يتزاحـم القرشـيون عليـه يتسـابقـون فى تحذيره، حتى يبدو عليه الاقتناع بما يقولون!!».

* * *

«اليـوم التالى، الطفيل بن عمرو الدوسـى فى طريقـه لزيـارة البيـت العتيق وقـد أمعن فـى الاحتياط، فحشـا أذنيه بالكُرْسـف (القطن) فَرَقًا من أن يبلغه شىء مما يقوله محمد ﷺ..».

«الطفيـل يدخل إلى صحن الكعبة.. يشـاهد رجلاً قائمًا يصلى عند الكعبة.. لا يعرفه، يسأل من الرجل، فيخبره أحد القرشـيين بأنه محمد الذى حدثوه عنه بأمس..».

«بعـد فترة.. مـا يحس الطفيـل إلا بأن قوة خفية تدفع به إلى حيث كان النبى عليه السـلام قائمًا يصلى.. ينصت إلى تلاوته، فيسـمع عجبًا يدخل إلى قلبه..».

الطفيل : (كالمحدث نفسه) واثكْل أمى، والله إنى لرجل لبيب شاعر ما يخفى علىَّ الحسن من القبيح، فما يمنعنى أن أسمع من هذا الرجل ما يقول؟ فإن كان الذى يأتى به حسنًا قبلته، وإنْ كان قبيحًا تركته..

«الطفيل يبدو كمن اطمأن إلى ما هتفت وتحدثت به نفسه.. يمكث فى موضعه مراقبًا النبى عليه السلام.. حتى إذا ما نهض للانصراف، تابعه من بعيد حتى وصل إلى داره..».

* * *

«دار النبى ﷺ.. يستأذن عليه الطفيل بن عمرو الدوسى..».

الطفيل : (مبادرًا) يا محمد، لقد حذرنى قومك منك، وقالوا فيك وقالوا.. فوالله ما برحوا يخوفوننى أمرك حتى سددت أذنى بكُرْسف (قطن) لئلا أسمع قولك..

النبى : فماذا يا طفيل؟!

الطفيل : أبى الله إلا أن يسمعنى قولك، فسمعته قولاً حسنًا، فاعرض علىَّ أمرك..

«النبى يتلو شيئًا من القرآن ويشرح الإسلام للطفيل.. يتغشاه نور وهدى لا يخفيه ..».

الطفيل : (مبهورًا) والله ما سمعت قولاً قط أحسن مما سمعت، ولا أمرًا أعدل منه.. وإننى لأشهد أنه لا إله إلا الله، وأنك رسول الله..

(مستأنفًا بعد لحظات) يا رسول الله، إنى امرؤ مطاع فى

قومـــى، وأنا راجع إليهم، فادع الله أن يجعل لى آية تكون لى عونًا عليهم فيمـا أدعوهم إليه..

«الرســول ينظر إلى الســماء، ويدعو إلى الله.. اللهم اجعل له آيــة.. ينصرف الطفيل عازمًا أن يشد رحاله إلى قومه.. يودعه النبى ويكرر الدعاء له..».

* * *

«مشــارف مضــارب قبيلــة دوس.. عند ثنيّة (فرجــة من مكان مرتفع بين جبلين)، تطل على مورد الماء الذى يستقى منه أفراد القبيلة.. الطفيل ابــن عمرو يطل من هذه الفرجة على بنى قومه.. يحس كأن نورًا قد شع بين عينيه كأنه مصباح.. إنهــا آيتهُ إذن إلى قومه وقد أزمع أن يهديهم إلى نور الإسلام..».

الطفيل : (ضارعًــا وهو نازل من مرقــاه) اللهم فـى غير وجهــى.. (كالمحادث نفسه) أخشى أن يظنوا أنها مُثلة وقعت فى وجهى لفراقى دينهم..

«يحس الطفيل أن هالــة النور قد جُعلت فى ســوطه.. يراها كالقنديل المعلق فيه.. يمضى فى هبوطــه مــن «الثنيّة».. حتى جــاء قومه وأصبح فيهم .. يتقدم إليه أبوه عمرو الدوســى ـ شــيخ طاعن جليل..».

الطفيل : (مبادرًا أباه) إليك عنى يا أبت.

عمرو الدوسى : (يقف مبهوتًا.. معقود اللسان)!!

الطفيل : يا أبت، لست منك ولست منى!

عمرو الدوسى : (متعجبًا) لم يا بنى؟!!

الطفيل : قد أتيت محمدًا بمكة، فأسلمت وتابعت دينه..

عمرو الدوسى : لم يا بنى؟!.. ما الذى دعاك إلى ذلك؟!

الطفيل : سمعت يا أبت منه قولاً ما سمعت أحسن منه قط، ولا رأيت أعدل منه.. عرض علىّ الإسلام، فانفتح قلبى له، فصدقته.. وآمنت.

عمرو الدوسى : فاعرض علىّ دينك.. دينى دينك!

الطفيل : (مترفقًا) فاذهب فاغتسل وطهر ثيابك..

«ينحو عمرو الدوسى إلى عين الماء، فيغتسل ويتطهر.. ويعود إلى نجله.. يتحدث الطفيل إلى أبيه بما سمعه عن الإسلام من محمد.. عمرو يسمع فى استغراق ..ينصت إلى ابنه مليًا، تفيض بشارة الهداية على وجهه..».

عمرو الدوسى : (لابنه) قد آمنت يا بنى بما آمنت به..

الطفيل : إذن فاشهد يا أبتاه بأنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله

عمرو الدوسى : قد شهدت.. أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأن محمدًا رسول الله.

«ينصرف الطفيل راضيًا مسرورًا حتى أتى زوجه.. تقبل عليه مرحبة مملوءة بالأشواق.. يصدها عنه.. تقف مدهوشة!!».

الطفيل : إليك عنى، فلست منك ولست منى!

الزوجة : (متعجبة) لم بأبى أنت وأمى؟!

الطفيل : فرق بينى وبينك الإسلام.. لقد تابعتُ دين محمد.. لقيته وسمعته فآمنت بالدين الذى جاء به..

الزوجة : ما أرغب عن دينك.. دينى دينك..

الطفيل : فاذهبى إلى حِمىَ ذى الشرى (ماء يهبط من الجبل عند ذى الشرى.. وهو صنم لدوس) فتطهرى منه..

الزوجة : بأبى أنت وأمى، أتخشى علىّ الصّبْية من ذى الشرى شيئًا؟!

الطفيل : لا. أنا ضامن لذلك..

«تنصرف الزوجة إلى نبع الماء.. فتغتسل وتتطهر.. وتعود إلى زوجها.. يعرض عليها الإسلام..».

الزوجة : (للطفيل) قد آمنت بما آمنت به..

الطفيل : إذن فاشهدى بأنه لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله..

الزوجة : أفعل..

«تنطق بالشهادتين..»

* * *

«بعد أسابيع.. وقد أبطأت دوس على الطفيل.. تتحرك أشواقه إلى رؤية النبى صلى الله عليه وسلم.. يشد رحاله إلى مكة»..

الطفيل : (بين يدى النبى) يا نبى الله، إنه قد غلبنى على دوس الرنا (لهوهم وانشغال قلوبهم).. فادع الله عليهم..

النبى : اللهم اهد دوسًا..

الطفيل : تدعو لهم يا نبى الله ، وقد سألتك أن تدعو عليهم؟!

النبى : (مترفقًا) ارجع إلى قومك فادعُهُم وارفق بهم..

* * *

«أبــو بكـر وقــد امتلأ حزنًا علــى ما يلقى الرســول عليه الســلام ويلقاه هو والمســلمون من المشــركين.. يزمع أمره على الهجرة.. ألم يرحل آخرون، أمرهم النبى عليه السلام أن يتفرقوا فى الأرض.. يلقاه ابن الدغنة سيد الأحباش، فيقطع عليه الطريق..».

ابن الدغنة : إلى أين يا أبا بكر؟!

أبو بكر : أخرجنى قومى، وآذونى، وضيقوا علىّ.

ابن الدغنة : ولم؟!.. فوالله إنك لتزين العشــرة ، وتعين على النوائب، وتفعــل المعروف، وتكســب المعدم.. (مســتأنفًا) ارجع، وأنت فى جوارى أحميك وأذود عنك!

(يصيح فــى قريش وقد لمــح القبول فى وجه أبى بكر) يا معشر قريش!.. إنى أجرت ابن أبى قحافة، فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير!

«يتدافع إليه القرشيون غاضبين».

قرشى : (لابن الدغنة مغاضبًا) أقد أجرت هذا الرجل؟!

ابن الدغنة : نعم .. فلا يعرضن له أحد إلا بخير..

«يخرج عقبة بن أبى معيط من بين القرشــيين فيحاجى ابــن الدغنــة معترضًا..».

عقبة : يــا ابن الدغنة!.. إنــك لم تجر هذا الرجل ليؤذينا!.. إنه رجــل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد يرق ويبكى، وكانت لــه هيئة ونحــو ، فنحن نتخوف على صبياننا ونســائنا وضعفتنــا أن يفتنهم . فإنهــم ليقفون عليه عند باب داره، يعجبون لما يــرون من هيئته وقراءته، فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء!

ابن الدغنة : (ملتفتًــا إلى أبى بكر) يا أبا بكر!.. إنى لا أجيرك لتؤذى قومك، إنهــم يكرهون مكانك الذى أنت به، ويتأذّون بذلك منك، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت!

أبو بكر : أو أرد عليك جوارك، وأرضى بجوار الله؟

ابن الدغنة : فاردد على جوارى...

أبو بكر : قد رددته عليك!

ابن الدغنة : يا معشر قريش!.. إن ابن أبى قحافة، قد رد علىَّ جوارى، فشأنكم بصاحبكم!

«قريش تحيط بأبى بكر.. يوســعه الســفهاء وكزًا.. يتجرأ أحدهم فيحثو على رأسه التراب..».

أبو بكر : (يلتفت فيجد بين القوم الوليد بن المغيرة) ألا ترى إلى ما يصنعُ هذا السفيه؟!

الوليد : أنت فعلت ذلك بنفسك!

أبو بكر : ما فعلت بنفسى إلا الخير، ولكنكم بغيتم، ولسوف يعرف الذين ظلموا أىّ منقلب ينقلبون!

«يمضى أبو بكر لا يلوى على شىء!!»

* * *

«النبــى ﷺ فى خلوتــه يتعبــد، ويتأمل..

تذهب نفسه حسرات على بنى قومه الذين كذبوه وأنكروه وآذوه.. كيف غاب عنهم نور الحق الواضح كفلق الصبح.. أما كان أجدر بهم أن يبادروا إلى الله.. بالأمس دعا لهم بالهداية رغم ما فعلوه.. سأل ربه فقال فى ابتهاله: اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون».. أتاهم بالخير، وهم يصدونه بالشر؟!!.. وإنه لفى خواطره، يتراءى إليه جبريل عليه السلام..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٨﴾﴾ [سورة فاطر: الآيات: ٤ - ٨].

(يرتفع الوحى)

* * *

«النبى ﷺ فى خلوته يتعبد ويتحنث، يتأمل فى أحوال قريش، ألم يتمنوا فى السالف من الأيام لو أن الله بعث منهم نبيًّا إذن لكانوا أسمع وأطوع له من باقى الأمم؟!.. ما بالهم وقد أرسل الله تعالى نبيًّا منهم إلى الناس كافة؟!.. ألم

يقسموا سالفًا إن أتاهم كتاب من الله أن يكونوا أهدى الناس؟!.. لماذا وقد جاءهم البشير النذير من ربهم قد صاروا أكفر الناس؟!.. لا يدعون سبيلا للصد عن سبيل الله إلا طرقوه.. استقبلوه واستقبلوا دعوته بالتكذيب والصد والإنكار.. يكيدون له ويضيقون عليه ويؤذونه أشد الإيذاء».

«محمد ﷺ في خواطره، وعجبه من حال الإنسان، يواتيه الروح الأمين بكلمات ربه..».

جبريل: (يتلو على محمد) ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا ۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا ﴿٤٥﴾﴾ [سورة فاطر: الآيات: ٤١ ـ ٤٥].

(يرتفع الوحى)

* * *